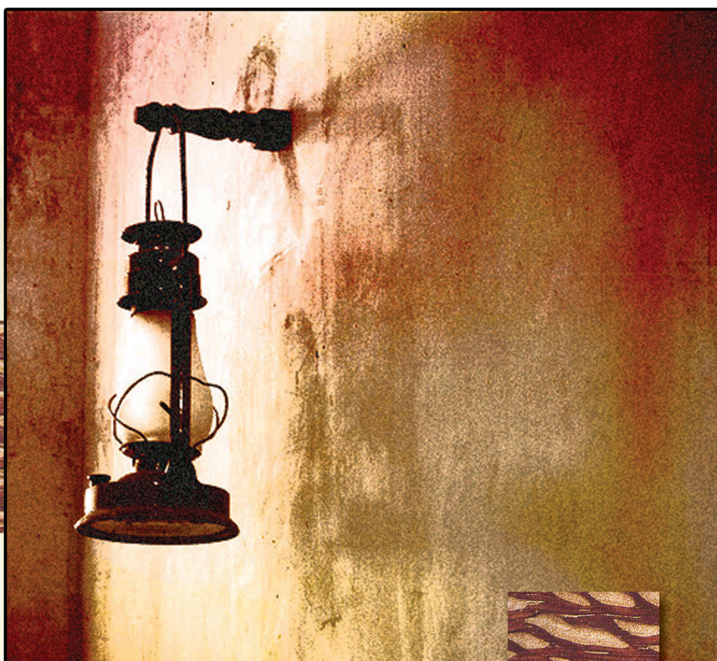
الإصدار: 43

روافد

التأصيل الشرعي للتعامل مع غير المسلمين



مراجعات

تأليف: د. مصطفى بن حمزة

ترجمة: د. عبد النور خراقي

التأصيل الشرعي للتعامل مع غير المسلمين

د. مصطفى بن حمزة

الإصدار: 43 (يوليو 2011م / شعبان 1432هـ)

الإخراج الفني : محمود محمد أبو الفضل

د. مصطفى بن حمزة:

من مواليد المغرب، حاصل على دكتوراه الدولة في اللغة العربية وآدابها، يعمل أستاذا بالتعليم العالي، ويشغل عضوية العديد من المجالس، مثل المجلس العلمي الأعلى، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي من أجل تحقيق التنمية.

من مؤلفاته: «المساواة في البعدين الوضعي والشرع» و«شخصية الفقه المالكي» و«كرامة المرأة من خلال خصوصيتها التشريعية»، وغيرها..

د. عبد النور خراقي:

من مواليد المغرب، حاصل على الدكتوراه في التداولية من جامعة محمد الأول بالمغرب، والدكتوراه في العلوم الانسانية من جامعة نيوكاستل البريطانية، يعمل أستاذا بالتعليم العالي، ومحكما للأعمال المترجمة من اللغتين الإنجليزية والفرنسية إلى اللغة العربية بالأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت.

من مؤلفاته: «اللغة والهوية» و«الترجمة والتلاقح الحضاري» و«المرأة في الأديان السماوية»، إضافة إلى مؤلفات أخرى باللغة الإنجليزية.

روافد

نهر متعدد ... متجدد

مشروع فكري وثقافي وأدبي يهدف إلى الإسهام النوعي في إثراء المحيط الفكري والأدبي والثقافي بإصدارات دورية وبرامج تدريبية وفق رؤية وسطية تدرك الواقع وتستشرف المستقبل.

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية
إدارة الثقافة الإسلامية

ص.ب: 13 الصفاة – رمز بريدي: 13001 دولة الكويت
الهاتف: 22487310 (965+) – فاكس: 22445465 (965+)
نقال: 99255322 (965+)
البريد الإلكتروني: rawafed@islam.gov.kw
موقع «روافد»: www.islam.gov.kw/rawafed

الطبعة الأولى - دولة الكويت

يوليو 2011م / شعبان 1432 هـ

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الموقع الإلكتروني: www.islam.gov.kw

تم الحفظ والتسجيل بمكتبة الكويت الوطنية

رقم الإيداع: 2011 / 165

ردمك: 978-99966-50-15-4

فهرس المحتويات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

ليس من باب المبالغة الإقرار بأن موضوع علاقة المسلمين بالآخر سيظل من الموضوعات الملحة في الفكر الإسلامي المعاصر، وسيدفع إلى مزيد من الكتابة والمراجعة والحوار من قبل المسلمين وغيرهم على حد سواء.

وقد تأكد للدكتور مصطفى بن حمزة أن الموضوع في حاجة إلى تأصيل شرعي، وذلك من خلال الوقوف على موقف القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وسيرة الرسول الكريم من الآخرين الذين يقعون خارج دائرة الإسلام والمسلمين، ثم البحث في التمثلات التاريخية لتلك العلاقة عند الصحابة رضي الله عنهم وعلى امتداد تاريخ الأمة الإسلامية.

وخلص الكاتب إلى مجموعة من المعطيات دلل عليها ، ثم صاغ منها قواعد في تأسيس العلاقة الإسلامية المنشودة مع الآخرين الذين يختلفون عقائديا وحضاريا وفكريا.

وقد استدعت أهمية الكتاب السعي إلى ترجمته إلى اللغة الإنجليزية من قبل الباحث المختص الدكتور عبد النور خراقي، وذلك لتعم به الفائدة، وليصل إلى مختلف الدوائر الغربية.

وإسهاما من إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت في تنوير الرأي العام الإسلامي والغربي بخصائص الرؤية الإسلامية لموضوع التعامل مع الآخر ، فإنها تقدم على نشر الكتاب في أصله العربي وترجمته الإنجليزية، داعية المولى عز وجل أن يؤدي فائدته المرجوة، وأن ينفع به الأمة .

إنه سميع مجيب ...

مقدمة

يبدو أنه كلما تحقق انفتاح على الإسلام واقتراب منه، تصورت الدوائر التي تتمسك بثقافة الماضي المصطبغة بروح التوتر التي يغذيها العداء الديني أن صورة الاستعلاء الديني والثقافي أصبحت مهددة بالاهتزاز والتآكل، فيدفعها ذلك إلى تبني أسلوب التخويف من الإسلام وتقديمه على أنه لا يؤمن بالحوار والتعايش والتساكن. فتستدعي لتنشيط مشاعر الخوف والحقد كل لحظات التوتر التاريخي وتخضعها لرؤى ذاتية وتمنحها تفاسير موجهة تنتهي إلى تصوير الإسلام بأنه تواق إلى الصدام وإلى استئصال خصومه.

وتبرز موجة التخويف من الإسلام في تجليات معرفية وأدبية وفنية من شأنها تأجيج مشاعر التوجس ثم الكراهية للإسلام والمسلمين.

ويساعد على ترويج خطاب الكراهية عدم التصدي العلمي له بإبراز الموقف الإسلامي الحقيقي من الآخرين.

ومن أجل تجاوز بعض النقص والغياب في موقع البيان والحوار تأتي هذه المساهمة لتؤصل قضية التعامل مع غير المسلمين من منطلق الاحتكام إلى نصوص الكتاب والسنة وأقوال الفقهاء وتمثلات الأمة لقضية التعايش والتساكن مما يرتفع بها عن مستوى إبداء المواقف الشخصية التي لا تستند إلى المعرفة الشرعية التي يجب الاحتكام إليها في بلورة الصورة الحقيقية لموقف الإسلام من غير المسلمين.

و من خلال القراءة الواعية لجملة من الأحداث المتصلة بموضوع الدين والتدين، يمكن استخلاص أن العالم يتجه نحو انفتاح كبير ومتزايد على الإسلام. ووقوع هذا التحول نحو الاهتمام بالإسلام والاشتغال به يأتي نتيجة طبيعية لجملة من العوامل والمؤثرات كان من الضروري أن تفرز هذا التوجه.

ومنها على الأخص تمكن الأفراد من التواصل الحر والمباشر باستخدام تقنيات الاتصال ووسائل نقل المعلومة، وهو ما ألغى، إلى حد كبير، سلطة الكتاب الموجه، وحد من هيمنته المطلقة على الفكر، ويسر للإنسان الولوج إلى فضاءات المعرفة الحرة ليحدد على ضوء معرفته كل اختياراته الفكرية واقتناعاته الدينية.

وقد كانت الأحداث الدامية التي عرفتها أجزاء من العالم الإسلامي باعثا قويا على لفت الأنظار واجتذابها بقوة نحو الإسلام، وتقديمه على أنه فكر قوي ورؤية لها فرادتها وتميزها عن باقي أنواع الأفكار والتصورات .

وقد كانت مجازفات بعض الفنانين العابثين والباحثين عن قضايا للإثارة والشهرة، وتصرفات بعض السياسيين الفاقدين للموضوع وللقضية التي يمكن أن تصنع منهم طيفا سياسيا وتمنحهم وجودا ملحوظا تصور نشاطهم السياسي على أنه مشروع مجتمعي وعمل قومي... لقد كانت محاولات هؤلاء الإساءة إلى الإسلام باعثا

للكثيرين على أن يطرحوا على الذهن سؤال الإسلام الذي تبين لهم أنه لا زال يحتفظ في قلوب المسلمين بكامل حضوره القوي، وبكل توهجه وعنفوانه بعد أن أبانت عنه التحديات.

وعلى الإجمال، فقد تظافرت هذه العوامل وغيرها لفتح المجال أمام الإسلام لينطلق في كل الاتجاهات وخلال كل المجتمعات المتطلعة إلى حياة الاستواء والوفاء للقيم والمبادئ التي يبدو أنها تآكلت باختيارات الإنسان المعاصر.

وإذا كان المستقبل المرتقب واعدا بحصول الالتقاء مع الإسلام، فإن من الآثار الجانبية للظاهرة أن تثير تخوفات كل المجموعات والتيارات التي رهنت وجودها بتوسيع الهوة بين الإسلام وبين الناس، فعملت على إقصائهم عنه، سواء كان لهذه المجموعات والتيارات انتماءات دينية، أم كانت مجرد تيارات مادية تناصب كل الأديان العداء.

وقد كان طبيعيا أن تلتقي جهود هؤلاء جميعا على اختلاف ما بينهم من أجل إنتاج صور شائهة من شأنها أن تخلف في ذهن المتلقي مشاعر هي مزيج من الاحتقار والاستعلاء والكراهية والخوف من الإسلام، وهي مشاعر كافية لأن تشكل حاجزا نفسيا سميكا يحول بين الناس وبين الإسلام.

ويبدو أن الجهد استقر أخيرا على اعتماد أسلوب تخويف الناس

من الإسلام، وذلك برسم صور دموية مرعبة له، فأنتج ذلك مشروعا عالميا هو مشروع «الإسلاموفوبيا» الذي يريد أن يقول للمتسامحين والمتحضرين احذروا الإسلام، فالإسلام قادم.

وقد استفاد مشروع التخويف من الإسلام من وقائع فردية تمت في الحاضر، لكنها لم تحدث عن استشارة شرعية لأي مرجع علمي إسلامي معتمد يمكن أن يحتضن عددا من العلماء المؤهلين لإصدار الفتاوى المعبرة عن موقف الإسلام من القضايا العامة.

كما أن مشروع التخويف من الإسلام استدعى من التاريخ كل لحظات الصدام التي وقعت بين دولة الإسلام وبين دول أخرى كانت قد اتخذت قبل الإسلام من كثير من أجزاء العالم مجالات حيوية ومراكز نفوذ تابعة لها، فكانت الحروب شأنا معروفا في سلوكها السياسي، وعلى كل نقط التماس التي التقت فيها مع غيرها.

وقد كان بروز الإسلام وانبثاقه بين منطقتي نفوذ الفرس والروم، مؤذنا حتما بوقوع الاحتكاك مع الإمبراطوريتين اللتين جعلتا أكثر بقاع العالم امتدادا قسريا لنفوذها وسلطتها، ولم تكن لتسمح ببروز أي دين أو أي مذهب يمكن أن يقتطع جزءا من مساحة نفوذها.

وعلى أي حال، فإن الحضور الأجنبي المبكر في الشأن الإسلامي، لم يكن ليدع للمسلمين هامشا كبيرا للاختيار والتصرف مع غير المسلمين وفق التوجه الأصلي للإسلام في التعامل معهم.

وإذا كان التحرش بالإسلام شيئا تم في التاريخ، فقد كنا نأمل أن يكون هذا التحرش سلوكا يتركه الناس في زمن يوسم بأنه زمن تعارف الحضارات وتكاملها، لولا أن ظاهرة التخويف من الإسلام ظلت مستمرة بل ومتنامية وموجهة لكثير من الكتابات الثقافية والصحفية ولكثير من الخطابات والمواقف السياسية والإنجازات الفنية، وهو ما يدعو إلى الإعانة على الوصول إلى الحقيقة بإبراز بعض المعطيات التي تطرح أسئلة على الفكر ليظل له حق بناء التصور، وحق اتخاذ الموقف بناء على ما توصل إليه من المعرفة بمنأى عن التأثيرات والأحكام المسبقة والتصورات القبلية.

وسوف تحاول هذه المساهمة معالجة المحاور التالية:

- موقف القرآن الكريم من غير المسلمين.
- موقف النبي ﷺ من غير المسلمين.
- تمثلات الصحابة للموقف من غير المسلمين.
- التطبيق الفقهي للموقف من غير المسلمين.
- الإنجازات الحضارية المتمثلة للموقف الإسلامي من غير المسلمين.
- التعامل مع غير المسلمين في المرحلة الراهنة.

المبحث الأول

موقف القرآن من غير المسلمين

المبحث الأول: موقف القرآن من غير المسلمين

إن الحديث عن موقف القرآن من غير المسلمين هو حديث فسيح الأرجاء، ممتد الجنبات، وهو متنوع بتنوع مواقفهم من الإسلام، إذ لا يستوي أن يكون هؤلاء الآخرون مسالمين أو محاربين ومعادين، كما أنهم لا يستوون في اعتبار الإسلام وتقديره بين أن يكونوا أهل إيمان، أو أهل إنكار للخالق ولأصل الدين.

وإذا كانوا مؤمنين بحقيقة الدين فإنهم يختلفون في الاعتبار الإسلامي بين أن يكونوا أتباع ديانات سماوية لها نبوات حقيقية، أو يكونوا أتباع نحل ومذاهب وضعية روحية لا علاقة لها بالوحي.

وإن من المنطقي أن يكون لهؤلاء مواقف متباينة من الإسلام، ويكون للإسلام بالمقابل مواقف متعددة في القرب منهم والتعامل معهم، بناء على توقع التسامح منهم، وإمكان الالتقاء والتعايش معهم.

لهذا السبب وجب الحديث أولا عن موقف إنساني عام، هو موقف الإسلام من كل البشر الذين كرمهم الله، واستوجبوا هذا الحق بمجرد إنسانيتهم وآدميتهم.

ويمكن الحديث بعد ذلك عن مواقف تفصيلية أو قطاعية بحسب ما يكون عليه الآخرون من تصورات، وما يكون لهم من مواقف.

ويأتي في طليعة من يستفيدون من علاقة مميزة مع الإسلام أهل

الكتاب من يهود ونصارى، بحكم أنهم يلتقون معه في حقائق دينية مشتركة تلزمهم كتبهم الدينية بالإقرار بها، والخضوع لمقتضاها.

وبعد هذا يمكن تجلية الموقف العام للإسلام من غير المسلمين، من خلال عرض معطيات مركزية من العطاء القرآني ومنها:

١- إن القرآن طالما أكد حقيقة كونية منبثقة عن المشيئة الإلهية تتلخص في أن الله عز وجل اقتضت مشيئته أن يخلق الناس مختلفين في أديانهم، على نحو ما هم مختلفون في مداركهم وصورهم وألسنتهم وألوانهم ولغاتهم، ولهذا يكون توهم إمكان تنميط الناس وجعلهم على موقف واحد أمرا يخالف مقتضى المشيئة والحكمة، وإن كان هذا لا يمنع من محاولة تقليل مساحة الاختلاف العقدي وحصر المعتقد في تجليه الصحيح، ولأجله يظل التعارف والحوار والتفاهم فعلا مطلوبا من الإنسان، وهو على كل الأحوال لا يلغي إرادة الله في الاختلاف البشري.

يقول الله تعالى موجها إلى عدم التطلع إلى رؤية الناس نمطا واحدا، وإلى عدم إكراههم على أن يكونوا كذلك ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة يونس: ٩٩).

ويقول أيضا: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (سورة هود: ١١٨).

والآيات المقررة لهذا المعنى كثيرة، وهي في جملتها توطن ذهن الإنسان المسلم على القبول بالتعددية، وتفتح له مع ذلك المجال لأن يعرف بدينه من غير أن يجعل إلغاء الآخرين هدفا من أهدافه.

٢- من الإشارات القرآنية الموجهة لتصور المسلم نحو الآخرين، أن الله تعالى حكى عن نبيه إبراهيم أنه حينما أتم بناء البيت العتيق، توجه إلى الله ضارعا بأن يوفر لمكة ولأهلها من عوامل الاستمرار ما يبقي ذلك البلد مثابة للإيمان، فقال إبراهيم :﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾.(سورة البقرة:١٢٦).

وهذا دعاء من إبراهيم بأن يوفر الله لمكة الأمن الذي يجتذب الناس إليها، وبأن يمنح المؤمنين من الثمرات والأرزاق ما تطمئن به معيشتهم، لكن الله أجاب إبراهيم إلى ما طلب بخصوص توفير الأمن، غير أنه أنبأه أنه لن يقصر الرزق على من آمن دون غيره، وإنما يعممه ليشمل المؤمن وغير المؤمن، فقال الله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾. (سورة البقرة:١٢٦).

ومعنى هذا أن غير المؤمن لا يفقد حقه في أسباب الحياة وفي فرص العيش، لأنه لم يختر الإيمان، ليبقى جزاؤه مؤجلا إلى يوم القيامة.

٣- لقد تحدث النص القرآني عن كل أنواع المخالفين وأبرز

معتقداتهم وناقشها وأبـرز ما فيها مـن تصورات سقيمة عن الإله الذي يجب أن يكون متصفا بكل صفات الكمال من العلم والقدرة وما سواهما من الصفات التي تليق بالإله الـذي يخلق الخلق ويرعاهم، ويعلم أحوالهم وأسرارهم ويغيثهم وينصرهم ويحاسبهم إذا صاروا إليه.

وقد خص القرآن أهل الكتاب بالحيز الأكبر من حديثه، فتحدث عن اليهود وعن النصارى ووقف عند محطات أساسية من تاريخهم، وتناول قصة نشوء الديانتين وما واجههما من عوائق ومجابهات.

وحين تحدث القرآن الكريم عن أهل الكتاب تحدث عنهم حديث المنصف العادل، فهو حينما تحدث عن وجود الأمانة والخيانة فيهم، ذكر أن منهم أشخاصا هم في قمة الأمانة والنزاهة، وأن منهم آخرين هم خائنون للأمانة، فقال سبحانه: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ (سورة آل عمران: ٧٥).

وقال عن أهل الكتاب بعد ذكر ظلم بعضهم للأنبياء: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١١٤).

وقال عن القسيسين والرهبان الذين ظلوا أوفياء لهدي عيسى

عليه السلام: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾. (المائدة: ٨٣).

وهذا حديث لن يجد أهل الكتاب أكثر إنصافا منه وإشادة بصلاح من التزم منهم خط النبوة.

وما ذكره القرآن عن أهل الكتاب ومدى التزامهم بالأمانة أو الإخلال بها، ومدى استجابتهم لهدي النبوات، يجري على طبيعة البشر في وجود الصالحين والطالحين من بينهم، لأن أي أمة لا يمكنها أن تدعي أن كل أفرادها هم أخيار فضلاء لم يلم أحد منهم بشيء من النقائص.

٤- حين تحدث القرآن عن النبوات السابقة فقد ألزم بالإيمان بكل الأنبياء، وجعل شمول الإيمان بهم مقوما من مقومات العقيدة الإسلامية، وصرح بذلك مرات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾. (سورة البقرة: ٢٨٥).

وقال أيضا: « ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٣٦).

وقد أكد النبي أخوة الأنبياء فقال عليه السلام :«الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد».[1]

والأنبياء يتساوون في أصل البعثة والوحي والانتماء إلى سلسلة النبوة، ويتمايزون بحسب الشرائع وخصوصياتها وبمقدار ما أوحي إليهم، فكان منهم أولو العزم وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد. وقال القرآن عن تفاوت المراتب: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (البقرة :٢٥٣).

وقد أوجبت العقيدة الإسلامية الصحيحة التصديق بجميع الأنبياء والرسل على الإجمال، لكنها أوجبت الإيمان بخمسة وعشرين رسولا ذكروا في القرآن بأسمائهم وهم:

آدم وإدريس ونوح وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل واليسع وهود وإسحاق ويعقوب ويوسف وشعيب وأيوب وذو الكفل وموسى وهارون وداوود وسليمان وإلياس ويونس وزكرياء ويحيى وعيسى ومحمد.

وبهذا يكون الإيمان قد شمل كل الرسالات الصحيحة التي عرفتها الإنسانية، فلم يعد للمسلم أن يتحفظ على أي رسالة، فهيأه ذلك للدخول في كل حوار ديني جاد.

٥- حين عرض القرآن للنبوات السابقة حرص على إزالة المظالم

١- صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل عيسى عليه السلام.

التي ألحقها أتباع الديانات بأنبياء آخرين وبأنبيائهم أيضا، وقد قامت العقيدة الإسلامية على اعتقاد عصمة الأنبياء وبراءتهم من الذنوب خصوصا بعد الرسالة.

وقد بذل علماء الإسلام من الجهد العلمي ما لم يبذله غيرهم من أجل رد كل الافتراءات التي حملتها بعض النصوص القديمة عن بعض الأنبياء.

ودافع القرآن عن موسى عليه السلام، ونهى عن إيذائه بالقول فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ (سورة الأحزاب: ٦٩).

ودافع القرآن عن طهارة مريم عليها السلام، وذكر كرامتها وهي تتبتل وتتعبد في المحراب فيأتيها رزقها من عند الله، ويقول القرآن: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ (آل عمران ٣٧).

وأبرز القرآن عفة مريم فقال عن ميلاد عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ٤٢).

وقال عن رسالة عيسى وصديقية أمه: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ (سورة المائدة: ٧٥).

ورد القرآن دعوى قتل عيسى وأخبر عن رفعه فقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ (سورة النساء:١٥٧). وبهذا يكون القرآن قد أزال السبب الأهم الأقوى للخصومة بين اليهود والنصارى، وهو ما اضطرت المجامع المسيحية الأخيرة إلى أن تعود إليه وتقول به في سياق التأسيس لعلاقة جديدة، فالتقت بذلك مع نصف الحقيقة التي قال بها القرآن حينما نفى مقتل عيسى عليه السلام فلم يحمل اليهود دمه. وإذا كان هذا الموقف من المسيحية الحديثة قد برأ اليهود فإنه قد أبقى عقيدة الصلب التي هي عقيدة مركزية في المسيحية معلقة ومسجلة ضد مجهول.

ودافع القرآن أيضا عن عفة يوسف وطهارته فقال عنه: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (سورة يوسف: ٢٤).

ووصف يوسف بالإخلاص يأتي شهادة إلهية له بالطهارة والثبات في معرض احتمال التعرض للتهمة.

٦- بالإضافة إلى تنقية التصورات عن الأنبياء ومحو ما تناقله أتباع الديانات من أفكار خاطئة عنهم مما أوجده الصراع الديني، فقد تفرد القرآن بكتابة التاريخ النظيف الذي يعرف بكل نبي ورسول تحدث عنه.

ولهذا فإن القرآن يعتبر أهم مصدر لتلقي المعلومات الموثقة عن الأنبياء الكبار، فقد تحدث عن مواليد بعضهم، وعن اصطفاء الله

لهم بالوحي، كما تحدث عن مواقفهم وصبرهم أمام كل الصعوبات التي اعترضت سبيلهم.

ولقد ذكر القرآن موسى ستا وثلاثين ومائة مرة باسمه الخاص، وخمسين مرة بوصفه، وتحدث عن عيسى بالاسم خمسا وعشرين مرة، وذكره بألفاظ المدح عشرين مرة، منها: روح الله وكلمته، ومبارك، والبر بوالدته حسب قول صاحب بصائر ذوي التمييز[1].

ومن خلال أحاديث القرآن عن النبوات تعلمت الأمة توقير الأنبياء واحترامهم، ولذلك لم يتخذ المسلمون حياة الأنبياء ملهاة ولا مجالا لتجريب الإبداع المخل بالاحترام، بل إن ما كتبه علماء العقيدة وعلماء التفسير في إثبات عصمة الأنبياء، وفي درء قصدهم إلى المعصية شيء كبير شكل قاعدة فكرية عن موضوع عصمة الأنبياء جميعا.

٧- من الآثار العملية لاحترام الأنبياء أن أسماءهم ظلت متداولة في المجتمعات الإسلامية، إذ يتسمى المسلمون بأسماء موسى وعيسى ويوسف وإلياس وغيرهم، وتتسمى النساء بأسماء مريم، وبكل الأسماء الواردة على هامش حياة الأنبياء السابقين.

٨- من شواهد العناية بأهل الكتاب أن القرآن الكريم تحدث عن كثير من المحن والمظالم التي تعرضوا لها عبر التاريخ، وأشاد بصبرهم وثباتهم على معتقدهم.

١- بصائر ذوي التمييز ، الفيروزآبادي. ٦/ ١١١. ١٦١. تحقيق: عبد العليم الطحاوي المكتبة العلمية بيروت.

فلقد تحدث القرآن عن الظلم الذي سلطه فرعون على بني إسرائيل، وذكر تفاصيل الوعيد والتعذيب التي كانت تصدر عن فرعون وملئه، وتحدث عن ألوان العذاب التي أوقعها بهم. وعبر القرآن عن مراد الله في تغيير الوضع لصالح بني إسرائيل فقال سبحانه: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص: ٦).

وكما تحدث القرآن عن اضطهاد بني إسرائيل، فقد تحدث أيضا عن الاضطهاد الذي تعرض له النصارى، ووصف تحريقهم في الأخدود الذي ملئ نارا فقال الله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ (البروج: ٤- ٧).

وقد توقف القرآن عند هزيمة الروم أمام الفرس، ووعد بالنصر الذي سيتحقق في بضع سنين، وجعل يوم انتصارهم يوما يفرح فيه المؤمنون بنصر الله، فقال الله سبحانه: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾. (الروم: ١- ٥).

وموقف القرآن المساند للروم أهل الكتاب والمبشر بانتصارهم القريب لا يعبر إلا عن اهتمام بالغ باستمرار هذه القوة الدينية في

مقابل هزيمة الوثنيين الفرس، ولم يكن الإسلام ينظر إليهم على أنهم يمثلون مزاحمة دينية أو خطرا على مستقبله، أو حاجزا مانعا من تقدمه. وفي منطق القرآن أن أصحاب الدين الإلهي هم أقرب إليه ممن لهم دين وضعي وممن لا دين لهم أصلا، لأن أهل الدين الإلهي يمكن التحالف معهم على قضايا عديدة مشتركة.

٩- من المواقف المؤسسة للسلوك الحضاري تجاه غير المسلمين، دعوة القرآن الكريم إلى عدم استثارتهم وتهييجهم بسب آلهتهم مع ما يؤدي إليه ذلك من تطاولهم على الإله الحق، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. (الأنعام: ١٠٨).

وعلى نحو ما يراعي الإسلام اعتزاز غير المسلمين بمعبوداتهم فلا يجيز للمسلم أن يسبها، فإنه يطالب المسلمين بأن لا يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، فيقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت:٤٦).

وبهذا التوجيه يكون القرآن قد علم المسلمين أسلوب التعامل الحضاري ولم يشجعهم على سب معتقدات الآخرين بدعوى زيفها وعدم صحتها، وهو ما احتاجت البشرية إلى أن تعيه بعد زمن طويل حتى لا تكرر مغامرات السخرية من الأنبياء التي كشفت عن سوء إدراك لموضوع الحرية ولحدود الاستفادة منها، فعاش العالم توترا مفتعلا تنبه الناس بعده إلى أن الحرية أصبحت توضع في مقابل

السلم والتعايش العالميين.

١٠- وكما يجب أن يراعي المسلم شعور غير المسلمين، فلا يجادلهم إلا بالتي هي أحسن، ولا يسب آلهتهم، فإنه يتعين عليه كذلك أن يعدل معهم في كل المواقف، فلا يكون للكراهية تأثير على سلوكه، فيقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾. (المائدة: ٨).

ومثل هذه التوجهات تقطع أسباب الخصومة والصراع. لأن الصراعات الدامية تبدأ بالكلمة الجافية، وتنطلق إلى الاستخفاف بمعتقد الآخرين، وتنتهي بالظلم والتحيز في المواقف.

١١- لقد قرر القرآن أن الأصل في التعامل مع المخالفين هو البر بهم، والإحسان إليهم، ولا يستثنى من هذا التعامل إلا أولئك الذين اختاروا محاربة المسلمين وظلمهم، وعملوا على تهجيرهم وتشريدهم عن ديارهم، وحينئذ يستحق هؤلاء من المعاملة ما يرد بغيهم ويوقف ظلمهم على قاعدة المعاملة بالمثل، يقول الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾. (الممتحنة:٨-٩).

وما حدده الإسلام بخصوص العلاقة مع غير المسلمين، هو ما تتخذه كل الشعوب المتحضرة في تعاملها مع أصدقائها وأعدائها.

روى المفسرون عن ابن عباس أنه كان ناس من المسلمين لهم أنسباء من قريظة والنظير، وكانوا ينفقون ويتصدقون عليهم يريدونهم على الإسلام، فنزل قول الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾. (البقرة ٢٧٢). [١]

وقد روي أيضا أن رجالا من الصحابة قالوا: أنتصدق على من ليس من أهل ديننا؟ فنزلت ليس عليك هداهم، فنبهت إلى عدم ربط البر والإحسان بالموافقة في الدين.

١٢- قد يثير البعض أن القرآن تحدث عن التبديل والتغيير في الكتب السماوية وهذا صحيح، لكن النقد القرآني لا ينصب على أصل الديانتين، وكونهما وحيا إلهيا، وإنما ينصب على فعل البشر وتصرفهم في النقل، وتدخلهم في النصوص بما لا يقبله المنهج العلمي في النقل للنصوص من تدخل فيها بالحذف أو بالإضافة.

وما ذكره القرآن عن تصرف البشر في النص الإلهي، هو بالذات ما يؤكده دارسو النصوص الدينية القديمة من غير المسلمين، وهو ما صار مدعاة للقول ببشريتها.

لقد أفرد الفيلسوف باروخ سينوزا حيزا كبيرا من رسالته في اللاهوت والسياسة لإبراز شواهد عديدة على بشرية نصوص العهد القديم، وتأكد لديه كون النص التوراتي مصوغا بعد موسى بزمن طويل [٢].

١- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٢/ ٨٧ دار الفكر بيروت ١٩٩٣.

٢- رسالة في اللاهوت والسياسة سينوزا. ص :٢٦٩.

لقد ورد في الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية حديث عن وفاة موسى ودفنه في أرض مؤاب، وأنه لم يعرف رجل مثله في بني إسرائيل إلى اليوم، تقول التوراة: ومات هناك موسى عبد الله في أرض مؤاب عن أمر الله، ودفنه في الهوية في أرض مؤاب، مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان تربته إلى اليوم، ولا يقوم أبدا نبي في بني إسرائيل كموسى إذ ناجاه الله شفاها [١].

وما وجهه سينوزا إلى العهد القديم من نقد بخصوص النقل والرواية، قد وجه مثله إلى العهد الجديد، وكان فولتير قويا في نقده، فقال ساخرا عما ورد في الكتب الدينية من معلومات: من الواضح أن الخالق لم يكن قويا في الجغرافيا.

وأنا أرى أن ما اتكأت عليه حركة الإصلاح الديني في أوربا على الأخص، هو بالذات ما تحدث عنه القرآن من الإضافة والتدخل في نصوص الكتب السماوية.

لقد كان على المسيحية أن تنتظر إلى أن يأتي رجال أمثال: المعلم إكهارت M.Eckhart 1328، وتوماس كمبس T.campus 1421، وجون ويكلف J.wycliffe 1384، وجون هس J.hiss 1415، ثم مارتن لوثر martin Luther 1546 لتشهد الحياة الدينية المسيحية صراعا وتفرقا كان بالإمكان تفاديه لو أن المسيحيين أصغوا جيدا إلى ما انتقده القرآن الكريم عليهم .

١٣- أخيرا فإن من أهم القضايا التي يسعى مناوئو الإسلام إلى

١- التوراة السامرية رواية وترجمة محمد أحمد القاص ٢٤٢ ط دار الأنصار

توظيفها من أجل الإقناع بسعي الإسلام إلى استئصال خصومه وإلغاء وجودهم قضية الجهاد.

وأنا أقول: إن الجهاد مـن ضرورات الدولة ومستلزماتها، وليس وسيلـة إلى حمـل الناس على الإسلام،لأنه لا إكـراه في الدين، ولأن المعـروف أن الإسلام بزغ ونشأ وكون مجموعتـه البشرية الأولى في العهد المكي الـذي كان فيه المسلمون مستضعفين وغير قادرين على استعمـال أي نوع من أنواع القوة أو السلاح، وقد كانت حجة القرآن الواضحـة ومنطقه القـوي كافيـين لأن يثبتا صحة دعـوة الإسلام وجدارتهـا، ولأن يمكنـاه من أن يكـوّن مجموعتـه البشرية قبل أن ينتقل النبي إلى المدينة ليؤسس بها دولة لها ضرورة التوفر على أسباب القوة كما لكل دولة في العالم.

لكن الإسلام لم يتحدث في العهد المدني عن الجهاد إلا لأن ذلك أصبح من مستلزمات الدولة وضروراتها، إذ لا وجود على وجه الأرض لأي دولة مهما صغر حجمها وهي لا تتوفر على مؤسسة للدفاع العسكري تحمي بها وجودها، وقد يكون امتلاك السلاح سببا لمنع الحرب لا لاستدعائها، لأن القوة تعطل القوة كما يقال .

وحديث الإسلام عن الجهاد هو حديث من يضبطه ولا يتركه قتالا تحكمه الرغبة في القتل والإبادة، أو السعي إلى التوسع وإلى وضع اليد على مصادر القوة ومنابع الثروة.

وحديث القـرآن عن الجهاد هو مثل الحديث الـذي يلقى في

الأكاديميات العسكرية من تعريف بالعقيدة العسكرية، وبقوانين إعلان الحرب وإنهائها، وعقد السلم واستعمال الأسلحة المحرمة وغير المحرمة، وحقوق المدنيين وغير المشتبكين بحرب ومآل الأسرى ومجرمي الحرب، وما إلى ذلك من العلوم العسكرية والقانونية.

إن تعرف موقف الإسلام من قضية الجهاد لا يمكن استخلاصه أو إدراكه إلا في سياق استحضار بروز دولة جديدة تريد أن تجد لها موضعا ضمن محيط دولي كان قد شطر العالم إلى منطقتي نفوذ تابعتين للإمبراطورية الفارسية أو البيزنطية.

وقد يكون من السذاجة توهم أن إحدى القوتين كان بالإمكان أن تسمح بأن يبرز الإسلام على أرض نشأ فيها فضلا عن أن يمتد نوره إلى جهات أخرى أبعد.

لقد أكدت الوقائع أن القوتين العظيمتين كانتا مهتمتين بالوضع في المدينة المنورة تترقبان عن كثب ما يحصل من تطورات في محض دولة الإسلام، وكانتا تتبعان الوقائع والتفاصيل بواسطة ما تزوده بها الاستخبارات المحلية من معطيات.

لقد غيبت القراءات المجتزأة للوقائع أن دولتي الروم والفرس كان لهما تدخلات كبيرة جدا في شأن الإسلام منذ انبثاقه، ويكفي من ذلك أن نقف عند واقعة بناء مسجد الضرار الذي شيده على مقربة من المدينة المنورة أشخاص موالون للروم كانوا يلتقون به ويعدون من يحضر معهم بأنهم ينتظرون عودة أبي عامر بجيش من

الروم يغزو به المدينة، وقد ذكر القرآن من شأنه أنه بني إرصادا وتجميعا لمن حارب الله ورسوله، وقد مول الروم تكاليف البناء والإرصاد والموالاة[1]، فكان بناء المسجد مزايدة صريحة على النبي الذي هو الأصل في الهدي إلى بناء المساجد والآمر الأول ببنائها لتخدم الإسلام لا لتنقض عليه.

ولقد وقع أن القرآن حكم على ثلاثة من الرجال تخلفوا عن معركة تبوك بالمقاطعة المجتمعية المؤقتة، لكن كعب بن مالك وهو أحدهم فوجئ برجل يخرق المقاطعة ويناديه في السوق ويعرض عليه دعوة ملك غسان الموالي للروم، وترحيبه به حتى يلتحق به ولا يبقى في المدينة وحيدا[2].

وهذا يدل على أن المتابعة الاستخبارتية الرومانية كانت نشيطة، إذ بلغ خبر المقاطعة إلى مركز القرار ثم كان التدخل بتلك السرعة الفائقة التي تعكس مبلغ الاهتمام والاستعداد التام للتدخل ولو في قضايا جزئية تعني أفرادا قليلين في دولة الإسلام.

فهل كان بالإمكان أن تترك هذه القوى الإسلام يذهب أبعد من هذا؟ وهل كان ترك الإسلام للحديث عن الجهاد ضامنا لأن يترك الآخرون اللجوء إلى القوة؟ هذه أسئلة يجيب عنها من يكون معنيا بتأسيس دولة وبالمحافظة عليها.

١- جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطبري ٧/ ١٨. دار المعرفة ١٩٨٧. سيرة ابن هشام تهذيب سيرة ابن إسحاق ٤/ ٢٢٨. دار الجيل بيروت ١٩٨٧.

٢- سيرة ابن هشام ٤ /٥٣٤ دار الرشاد الحديثة

وإلى جانب هذا، فإن المرء ليعجب للقوة العسكرية الهائلة التي توفرت لأشخاص ارتدوا بعد وفاة الرسول ، فاستطاعوا أن يلحقوا بعض الخسائر البشرية بالجيش الإسلامي على قوته وتجربته وخبرته، مع أن هؤلاء لم يكن لهم عبر تاريخهم الطويل أقل القليل من هذه القوة التي لو توفرت لهم من قبل لبنوا بها دولتهم، و لأمنوا بها طرقهم، ولاستغنوا بها عن أن يستخدمهم الروم أو الفرس في الخفارة وفي حماية ثغورهم وحراسة قوافلهم.

المبحث الثاني:

موقف الرسول من غير المسلمين

المبحث الثاني: موقف الرسول ﷺ من غير المسلمين

حين نحاول استجلاء الموقف الحقيقي للرسول ﷺ من غير المسلمين، فإن المنهج يقتضي الإحالة على الواقع العملي، وعلى الممارسة الدائمة للعلاقة النبوية بغير المسلمين، لأن الفعل يظل أقوى في التعبير عن الموقف النبوي مما يمكن أن تفيده أحاديث قد يساق بعضها مساق المجاز، وقد تكون من قضايا الأعيان وقد يعقبها النسخ.

وتأسيسا على هذا، فإن الأولى التركيز على عرض بعض المواقف والتصرفات النبوية الكفيلة بإبراز التوجه النبوي في الموضوع.

١- إن نجاح الرسول ﷺ في عقد علاقات احترام مع غير المسلمين ناشئ ولا شك عما وجدوه منه من تعامل كريم ومن إنصاف لهم، وقد كان لأسلوب الحوار في القرآن والسنة أثره في تقريب غير المسلمين واستدعائهم إلى رحاب الإسلام، فقد ناقش القرآن غير المسلمين وساءلهم عن كثير من عقائدهم، وكشف لهم عن جانب الضعف فيها، كما تحدث عن المتبقي السليم من دينهم، وكل ذلك ساعد كثيرا على تجسير الهوة بينهم وبين الإسلام، وجعلهم أقرب إليه ممن لا كتاب لهم.

يروي كتاب السيرة أن المسلمين لما هاجروا إلى الحبشة بعثت قريش في طلبهم رجلين حاولا استمالة النجاشي وإقناعه بإخراجهم،

وقد ركزا على الجانب العقدي، فقالا للنجاشي: إن القرآن يقول في مريم قولا عظيما، لكن النجاشي لما سمع من المسلمين قول القرآن في مريم ودفاعه عن طهارتها قال معلقا: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ثم قالا له: إن هؤلاء يقولون في عيسى قولا عظيما، فلما سألهم النجاشي عن قولهم في عيسى قالوا نقول فيه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم، فقال النجاشي والله ماعدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود[١]. وقرر النجاشي بعد هذا عدم تسليم المسلمين المهاجرين إلى قريش ثم اختار الإسلام بعد ذلك، وهو أبعد ما يكون من أن يقال عنه إنه كان واقعا تحت ضغط أو إكراه كما يريد البعض تفسير كل انتماء للإسلام ودخول فيه.

٢- في مرات عديدة يستظهر بعض الناس بقول النبي :«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله».[٢] والحديث صحيح الإسناد، لكن إدراك معناه يقتضي طرح تساؤلات لا شك أنها ستلقي إضاءات على مضمونه ومنها:

أ. لقد ثبت أن النبي توفي ودرعه مرهونة عند يهودي والخبر

---

١ – تهذيب سيرة ابن إسحاق لابن هشام ١/٣٣٧ تحقيق مصطفى السقا دار الرشاد الحديثة .

٢ – صحيح البخاري كتاب الإيمان باب قول الله تعالى فإن تابوا وأقاموا الصلاة....

صحيح رواه البخاري والترمذي وغيرهما[١]، والسؤال الذي يتعين طرحه هو كيف استمر هذا اليهودي على قيد الحياة حتى أدرك النبي أن يشتري منه طعاما بدين ويرهنه درعه إذا كان شأن النبي أن يقاتل كل من لم يسلم؟.

ألا يستفاد من رهن الدرع لدى يهودي أن فيه معنى آخر هو معنى الأمان وعدم الاستعداد والتهيؤ للحرب؟ ما دام المحارب لا يرهن سلاحه، لأنه قد يحتاجه؟ وإن هو رهنه فإنه لا يرهنه لدى محاربه، لأن السلاح هو عنوان قتالية المقاتل.

ب. إذا صح أن النبي لا يتعامل مع غير المسلمين إلا من موقع القتال فكيف ينسجم هذا مع إيصائه باليهود والنصارى، ودعوته إلى حقن دماء الرهبان والعبّاد والمنقطعين في الصوامع في حالات المواجهة، مع أنهم الأصل في بقاء الدين المخالف بما يقدمونه من توصيات بالاستمرار عليه؟ ولو تعلق الأمر باستئصال الدين المخالف لكان رجال الدين أولى بأن تتجه إليهم المقاتلة.

ج. كيف يتفق موقف القتال المطلق للمخالفين مع ما ثبت من أن النبي قد عامل يهود خيبر على رعاية النخيل وإصلاحه، وبعث معاذا إلى اليمن وأمره أن يأخذ من غير المسلم دينارا أو مقابله من ثياب ؟[٢].

١ – صحيح البخاري كتاب الجهاد باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب. سنن الترمذي كتاب البيوع باب ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل.

٢– أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية، لتحقيق صبحي الصالح.

د. إذا كان النبي ﷺ لا يتعامل مع غير المسلمين إلا بأسلوب القتال فكيف يؤسس أحكام المعاهدات والذمة، وأحكام الإبقاء على الكنائس وعدم مضايقة أهلها؟.

هـ. إذا كان الإسلام يقاتل غير المسلمين فكيف يسمح بالزواج بالكتابيات، ومن أين تأتي الكتابيات في المجتمع المسلم حتى يتزوج بهن المسلمون؟.

وإذا كان النبي ﷺ قد أمر من بعده بمقاتلة كل من لم يكن مسلما فكيف يوصي بالأقباط خيرا؟ بل كيف يستمر الوجود الفعلي لليهود والنصارى في البلاد الإسلامية بكثافة قوية؟ وكيف استمرت معابدهم وكنائسهم القديمة ماثلة إلى اليوم؟ حتى بلغت أحد عشر ألف كنيسة في زمن المأمون كما يؤكد ذلك ول ديورانت وغيره[١].

بل كيف تمكن غير المسلمين عبر التاريخ الإسلامي من بناء كنائس جديدة ربما زادت عن حاجتهم وعن نسبة وجودهم في أماكن بنائها من ديار المسلمين؟.

هذه أسئلة يمكن طرح أخرى مثلها، لا شك أن الإجابة عنها ترشد إلا أن التعامل مع غير المسلمين كان تعاملا متنوعا لا يتأسس على الرغبة في الاستئصال.

إن الفهم الصحيح للحديث يتجه إلى أن النبي حدد الغاية من القتال حينما يقع.

١- قصة الحضارة ول ديورانت ١٣/ ١٣٢ الهيئة العامة للكتاب بمصر.

وهو بهذا الحديث يريد استبعاد أن يكون القصد هو الاستيلاء على خيرات الآخرين أو إبادتهم للحلول مكانهم أو لإنهاء دورهم الحضاري، وهي المقاصد التي طالما توخاها الغزاة الذين لم يحملوا إلى الآخرين رسالة أو قضية، وإنما سعوا إلى إزاحتهم عن بلادهم وإلى الاستيلاء على خيراتهم.

إن الموقف الحقيقي والنهائي لرسول الله ﷺ من غير المسلمين لا يمكن استمداده واستخلاصه من نص واحد، وإنما يتعين استخلاصه من جملة من النصوص المتعلقة بالموضوع على طريقة المقابلة والترجيح بينها، كما يجب استخلاصه أيضا من الواقع العملي ومن المواقف المتعددة التي ترشد إلى الإطار العام للتعامل مع غير المسلمين.

ولقد حاولت الأسئلة التي طرحتها من قبل أن تثير الانتباه إلى وجوب التأمل والتريث والتحقق من كل المعطيات النصية والفعلية التي كانت تتظافر في إفادة الموقف النهائي.

وحين نعود إلى النصوص نجد منها قول ابن عباس الذي رواه البخاري وفيه يقول: «كان المشركون على منزلتين من النبي ﷺ ومن المومنين كانوا مشركي أهل حرب يقاتلهم ويقاتلونه، ومشركي أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونه»[١].

وغير المحاربين من غير المسلمين هم أصناف بحسب المواقف

١- صحيح البخاري كتاب الطلاق باب نكاح من أسلم من المشركات وعدتهن.

التي يتخذونها والأوضـاع التي يكونون عليها في علاقتهم مع المسلمين، وهم ثلاثة أنواع:

أهل ذمة: وهم الذين يساكنون المسلمين بصفة دائمة، ويوفر لهم المسلمون حقوقهم في ممارسة شعائرهم الدينية، ويهيؤون لهم فرص المشاركة الاقتصادية والاجتماعية، ويتولون الدفاع عنهم ضد أعدائهم بموجب انتمائهم للمجتمع الإسلامي.

. أهل هدنة: وهم الذين صالحوا المسلمين على أن يكونوا في ديارهم آمنين وتجمع بينهم وبين المسلمين مقتضيات المعاهدة وما تتضمنه من تعاون وتبادل للمصالح وللزيارات، ولا يشترط أن يكون من مقتضى المعاهدة دوما دفع مقابل مالي.

وقد ساعد هذا الوضع على انتقال العلوم والمعارف بين المسلمين وغيرهم، وكان من آثاره استجلاب كثير من كتب العلوم الطبيعة كالطب والحساب والفلك والكمياء وكثير من كتب المنطق والفلسفة وغيرها. وكان التراجمة من غير المسلمين جسورا لنقل المعرفة خصوصا في العصر العباسي.

-المستأمنون : وهم غير المسلمين من الوافدين إلى البلاد الإسلامية من غير أن يستوطنوها، ومن هؤلاء السفراء وحملة الخطابات الرسمية والتجار والمستجيرون، وهم اللاجئون الفارون من حرب أو ظلم، ومنهم طالبو

الحـــاجـــات[1]، ويـدخـل ضمنهم طـلاب الـعـلـم والـسـائـحـون.

إن هـذا التقسيم المتنوع لغير المسلمين ممن لا يشتبكون مع المسلمين بحرب هو الذي عرفته الأمة الإسلامية والتزمت أحكامه وصممت على ضوئه علاقاتها، وهو الذي كان له الأثر الكبير على استمرار وجود غير المسلمين في البلاد الذي حكموها، كما كان له أثره العمراني والاجتماعي المتمثل في وجود كنائس وبيع ودور نار ومقابر لغير المسلمين، كما كان له أثره التجاري والاقتصادي المتمثل في وجود صناعات وتجارات لا يتعاطاها المسلمون كتربية الخنازير وبيع الخمور والصلبان والأجراس والألبسة الكنسية ولوازم الدفن والأطعمة المرتبطة ببعض الأعياد والمناسبات الدينية ومنها: الخبز المرقق وسخينة يوم السبت مما يرتبط بالتقاليد الدينية لليهود.

وأظن أن الخطأ في الحديث عن علاقة المسلمين بغيرهم يعود بالنسبة إلى المسلمين إلى حملهم للأحاديث المتناولة لحالة الحرب على حالة السلم والأمان التي تظل هي الأصل في التعامل.

كما أن خطأ غير المسلمين في الحديث عن علاقة المسلمين بغيرهم يعود إلى التأثر بالصورة النمطية التي تكونت في الذهنية الغربية من أجل دعم روح الصدام والمواجهة المسلحة في زمن الحروب الصليبية خصوصا.

كما أن الخـطـأ يعود حاليا إلى الـوقـوع في شـراك مشروع «الإسلاموفوبيا» الذي تقوم فكرته الجوهرية على تخويف الناس من الإسـلام وعلى منعهم من الانفتاح عليه، أو التعرف على

١- أحكام أهل الذمة ٢/ ٤٧٦.

حقائقه، مما يمكن أن يشكل مناخا صالحا للتفاهم والتقارب.

والواقع أن النبي ﷺ أصل للمسلمين طرقا عديدة للتعامل مع غيرهم وهي الأساليب التي تمثلها المسلمون عبر التاريخ.

ولقد كان للنبي تصرفات متنوعة مع غير المسلمين تبعا لما تقتضيه المصلحة، فقد كان من مواقفه عليه السلام في بعض الأحيان الصبر عليهم وتحمل أذاهم، وكان من مواقفه أيضا التحالف معهم، فقال عليه السلام: «أيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة»[1]. وكان من تصرفاته معاهدتهم والاتفاق معهم على الدفاع المشترك كما فعل مع يهود يثرب وما حولها بعد دخوله المدينة، وكما فعل في صلح الحديبية، وكان من تصرفاته التعاون معهم، وطلب العون منهم، كما فعل مع نصارى الحبشة. وتأسيا به عليه السلام فقد وادع المسلمون نصارى النوبة، ووادع معاوية بن أبي سفيان أهل أرمينية.

وبعد طرح هذا التساؤل وهذه الإيضاحات عن دلالة الحديث المرتكز عليه في تقديم الإسلام بصورة المتحفز إلى قتل كل الناس، فإنه يتعين الخروج من التنظير إلى التمثيل بالواقع من خلال إيراد نماذج من تصرفات نبوية تحققت فعلا وتجسد فيها موقفه عليه السلام من غير المسلمين.

١. ذكر السرخسي في شرح كتاب السير الكبير لمحمد بن

١- رواه مسلم، فضائل الصحابة.

الحسن صاحب أبي حنيفة أن النبي بعث إلى أهل مكة خمس مائة دينار حين أصابهم القحط، وأمر بدفع ذلك إلى أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية ليفرقا ذلك على فقراء أهل مكة، فقبل ذلك أبو سفيان وأبى صفوان وقال ما يريد محمد بهذا إلا أن يخدع شبابنا[١].

٢. ذكر أبو عبيد في آخر كتاب الأموال بأن النبي تصدق بصدقة على أهل بيت من اليهود فهي تجرى عليهم[٢].

٣. روى البخاري عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: قدمت على أمي وهي مشركة في عهد قريش، إذ عاهدوا النبي ، فقلت يا رسول الله: إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها؟ قال نعم صلي أمك.

٤. وضع البخاري في صحيحه ضمن كتاب الجنائز بابا أسماه باب من قام لجنازة يهودي، روى فيه أن النبي ﷺ مرت به جنازة يهودي فقام لها، فقيل له إنها جنازة يهودي فقال أليست نفسا؟ [٣].

٥. ذكر كتاب السيرة أن أهل نجران وكانوا نصارى لما قدموا على رسول الله دخلوا مسجده بعد العصر، فكانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ دعوهم. واستقبلوا القبلة يصلون صلاتهم [٤].

١- شرح كتاب السير الكبير محمد السرخسي ١/ ٧٠ تحقيق محمد حسن الشافعي دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٧.

٢- كتاب الأموال لأبي عبيد ص ٦٠٥ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٦.

٣- . صحيح البخاري كتاب الجنائز باب من قام لجنازة يهودي.

٤- سيرة ابن هشام ٢/ ١٥٩ بهامش الروض الأنف للسهيلي ٢/٤٥ ط الجمالية بمصر ١٩١٥.

٦. روى البخاري في كتاب الجنائز أن النبي ﷺ كان له غلام يهودي يخدمه فمرض فآتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم فأسلم، فخرج النبي وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار[١].

٧. ذكر ابن قيم الجوزية أن النبي ﷺ زار عمه أبا طالب لما حضرته الوفاة، فصار يدعوه إلى أن يقول لا إله إلا الله، لكن أبا جهل وعبد الله بن أمية بن المغيرة كانا يصرفانه عن ذلك حتى مات وهو يقول إنه على ملة عبد المطلب[٢].

٨. أورد كتاب السيرة أن النبي ﷺ لما بلغه ما فعله خالد بن الوليد ببني جذيمة رفع يده وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد ثلاث مرات، ثم دعا عليا فقال يا علي أخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك. فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال بعثه رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال، حتى إنه ليدي لهم ميلغة الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه بقيت معه بقية من مال، فقال لهم: إني أعطيكم هذه البقية من المال احتياطا لرسول الله ﷺ بما يعلم ولا تعلمون[٣].

١- صحيح البخاري كتاب الجنائز.

٢- أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية ١/٢٠٠.

٣- سيرة ابن هشام ٤/٥٥ كتاب السير الكبير.

٩. روى يحيى ابن آدم في كتاب الخراج أن الرسول ﷺ كتب إلى معاذ يوصيه بأهل الكتاب في اليمن أن لا يفتن يهودا عن يهوديته[١].

١٠. روى أبو داود أن النبي ﷺ قال: «ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»[٢].

١- كتاب الخراج ليحيى ابن آدم ص ٣٧.

٢- سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارة.

المبحث الثالث

تمثلات الصحابة والتابعين

لموقف الإسلام من غير المسلمين

المبحث الثالث:

تمثلات الصحابة والتابعين لموقف الإسلام من غير المسلمين

لقد كان عصر الصحابة أكثر مراحل التاريخ وفاء لتعاليم الإسلام وأحكامه، وقد أتاحت التحولات الاجتماعية الناشئة عن الاتصال بشعوب أخرى وبثقافات وديانات مغايرة الكثير من فرص الاجتهاد من أجل تنزيل أحكام الإسلام على الوقائع والمستجدات، و بسبب هذا الوفاء والصدق في التطبيق راج في النظر الاجتهادي سؤال عن مذهب الصحابي وفعله هل هو حجة ودليل استنباطي أم إنه ليس كذلك؟.

لكن المتفق عليه أن بعض اجتهادات الصحابة أصبحت جزءا من الفقه، خصوصا فقه الصحابة الكبار، بل إن المذاهب الفقهية قد تأسست في جزء كبير منها على ما أصله الصحابة من الفقه، فكان فقه عمر بن الخطاب وابن عمر من أهم أسس الفقه المالكي مثلا، وكان فقه أبي حنيفة استرسالا وامتدادا لفقه ابن مسعود الذي عاش في الكوفة.

وبهذا الاعتبار، فإنه يصح جلب شواهد من فعل الصحابة في علاقتهم مع غير المسلمين على أنها تكمل صورة الموقف الإسلامي من غير المسلمين، ويمكن الاقتصار في هذا الحيز من هذه المساهمة على نماذج قليلة من فعل أبرز الصحابة.

١- ذكر أبو يوسف أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بالطريق وهو راجع في مسيره إلى الشام على قوم قد أقيموا في الشمس وصب على رؤوسهم الزيت، فقال ما بال هؤلاء؟ فقالوا: عليهم الجزية لم يؤدوها فهم يعذبون حتى يؤدوها، فقال عمر ما يقولون وما يعتذرون به في الجزية؟ قالوا يقولون لا نجد، قال: فدعوهم ولا تكلفوهم ما لا يطيقون، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تعذبوا الناس فإن الذين يعذبون الناس في الدنيا يعذبهم الله يوم القيامة، وأمر بهم فخلي سبيلهم»[١].

٢- روى أبو يوسف أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بباب قوم وعليه سائل شيخ كبير ضرير البصر فضرب عضده من خلفه، وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال:الجزية والحاجة والسن، قال:فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، إنما الصدقات للفقراء والمساكين. والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه [٢].

ومن خلال هذا النص يتبين أن عمر قد صرف دلالة المساكين في الآية إلى ذوي الفقر والحاجة من أهل الكتاب، فيكون هذا سندا

١- كتاب الخراج لأبي يوسف ١٢٥ دار المعرفة بيروت.

٢- الخراج لأبي يوسف ١٢٦.

قويا في استفادتهم من أموال الدولة الإسلامية.

٣- ذكر ابن قيم الجوزية أن عمر كتب إلى عماله لا تهدموا بيت كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار [١].

٤- لقد سعى عمر بن الخطاب إلى ترسيخ حقوق أهل الكتاب وتثبيتها على مستوى الدولة، فكتب بذلك عهدا صالح به أهل إيلياء جاء فيه :«هذا ما أعطى عبد اللّه عمر أمير المومنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم [٢].

٥- روى المؤرخون أن علي بن أبي طالب افتقد درعا ثم وجدها في يد يهودي في السوق، فقال: هذه الدرع درعي لم أبع ولم أهب، فقال اليهودي درعي وفي يدي فاحتكما إلى قاضيه شريح، فتقدم إلى شريح فجلس علي إلى جنبه، وجلس اليهودي بين يديه، فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين، قال نعم، أقول فقال: هذه الدرع درعي، فقال شريح: يا أمير المؤمنين بينة، قال نعم، قنبر والحسن والحسين يشهدان أن الدرع درعي، فقال شريح شهادة الإبن لا تجوز للأب، فقال: علي رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته ؟ فقال اليهودي

١- أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية ٦٩٠.

٢- تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر الطبري ٦٠٩/٣ تحقيق: أبو الفضل إبراهيم دار سويدان بيروت .

أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه أشهد أن هذا لحق[1].

٦- على إثر سباق لم يحز فيه ولد عمرو بن العاص قصب السبق مد يده إلى مسابقه القبطي وقال خذها وأنا ابن الأكرمين، لكن عمر دعا عمرو بن العاص إلى أن يمكن القبطي من القصاص، وقال: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا.

وقد كان فحوى كلمة عمر هو ما صدر به الميثاق العالمي لحقوق الإنسان.

٧- عن سفيان بن عيينة عن عمر قال: ماتت امرأة بالشام وفي بطنها ولد من المسلمين وهي نصرانية فأمر عمر أن تدفن مع المسلمين من أجل ولدها[2].

٨- حينما زار عمر بن الخطاب كنيسة القيامة ببيت المقدس دعاه صفرنيوس إلى الصلاة فيها، لكنه امتنع متخوفا أن يأخذها المسلمون من النصارى بحجة أن عمر صلى فيها[3].

١- علي بن أبي طالب د. علي محمد الصلابي ص ٢٨٢ دار ابن كثير دمشق ٢٠٠٥.

٢- أحكام أهل الذمة ٢٠٨/١ .

٣- موسوعة المدن الفلسطينية ص: ٥٩٠ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ط.دمشق ١٩٩٠

المبحث الرابع:

التطبيق الفقهي للتعامل مع غير المسلمين

المبحث الرابع: التطبيق الفقهي للتعامل مع غير المسلمين

يتميز السلوك الفردي والجماعي في المجتمعات الإسلامية بحرصه على أن يصدر عن المرجعية الإسلامية فيما يفعل وما يذر، ولأجل ذلك يستطلع الفرد والجماعة موقف الإسلام في التعاملات التي يريدان الإقدام عليها، وحين يقر الفقه ذلك الموقف فإنه يمنحه المشروعية ويجعله قابلا للتحقق والانتشار على نطاق واسع.

ولأجل هذا السبب وجب البحث عن أكثر الأحكام الفقهية التي أطرت تصرفات المسلمين مع غيرهم، لأن هذا التأطير يخرج بقضايا التعامل مع الغير من حيزها النظري إلى أن يجعلها واقعا في التعامل الفعلي الذي يتجاوز احتمالات النصوص وكل ما يمكن أن يرد عليها من التوجيهات التفسيرية.

وسوف تحاول هذه المساهمة أن تجلب نماذج وعينات من أقوال الفقهاء في موضوعات شتى من التعامل مع غير المسلمين تتناول قضايا متعددة.

-في الهوية السياسية لغير المسلمين:

١- حينما يقبل غير المسلمين العيش في نطاق الدولة الإسلامية فإنهم يتمتعون بحقوقهم الكاملة وبحماية نفوسهم وأعراضهم، كما يتمتعون على الخصوص بحقهم في ممارسة دياناتهم مع ما يتطلبه ذلك من حماية معابدهم، ومن التعامل وفق ما تقره

دياناتهم في قضايا الزواج والطلاق والتوارث وتناول المأكولات والمشروبات على النحو الذي يرونه جائزا في دينهم.

لكن على غير المسلمين في المقابل أداء مشاركة مالية للدولة وهي الجزية التي تكون غالبا أقل بكثير من واجبات الزكاة التي يؤديها المسلم، لكن أداء هذا المبلغ لا يلزم به إلا القادرون على أدائه، ويعفى منه العجزة والشيوخ والنساء والأطفال، بل إن هؤلاء يستحقون مساندة مالية من الدولة الإسلامية إذا تأكد فقرهم على نحو ما قرره عمر بن الخطاب، كما أنهم قد يستفيدون من كثير من التبرعات التي لا يمتنع شرعا أن يتبرع بها المسلمون عليهم.

٢- لقد أمعن الفقهاء في البحث عن داعي تسمية المبلغ الذي يؤديه غير المسلم جزية فقال البعض هي مأخوذة من الجزاء الذي يعني المقابل المادي للاستفادة من الحماية والأمن على نفسه وماله وعرضه، وشاهد هذا القول أن الدولة تكف عن استلام الجزية إن هي عجزت عن حماية غير المسلمين من أعدائهم وخصومهم.

وقد قيل إن اسم الجزية مأخوذة من الجزاء الذي هو القضاء على نحو ما استعملت الكلمة في قوله تعالى : ﴿لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـًٔا﴾ (سورة البقرة:٤٨)[1].

من الشواهد التاريخية على أداء الجزية في مقابل الدفاع والحماية ما ذكره أبو يوسف من أن الأخبار تتابعت إلى أبي عبيدة

١- المغني لابن قدامة ١٠/٥٥٧ دار الفكر ١٩٨٤.

بأن الروم جمعوا لحرب المسلمين فكتب أبو عبيدة لكل وال ممن خلفه على من صالح من أهلها أن يأمرهم أن يؤدوا ما أخذ منهم من الجزية والخراج، وأمرهم أن يقولوا لهم إنا رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع، وإنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم[1].

٣- من أجل تجلية نوعية العلاقة السياسية القائمة بين الذميين الذين يمكن أن نسميهم محميين وبين الدولة الإسلامية فإنه يحسن إيراد نص معبر نقتطفه من أحد المصادر الموثقة علميا هو كتاب الفروق للقرافي وهو نص يستغني بذاته عن الإيضاح والتعليق.

يقول القرافي: إن عقد الذمة يوجب حقوقا علينا لهم، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا وذمة الله ورسوله ودين الإسلام.

فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم، أو نوع من أنواع الإذاية، أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة الله وذمة رسوله وذمة دين الإسلام. وقد حكى ابن حزم في مراتب الإجماع أن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونهم وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك عونا لمن هم في ذمة الله ورسوله . فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة. وحكى في ذلك إجماع الأمة. فعقد يؤدي إلى إتلاف النفوس

١- كتاب الخراج لأبي يوسف ص: ١٣٩.دار المعرفة بيروت .

والأموال صونا لمقتضاه من الضياع إنه لعظيم[1].

٤- من سماحة المسلمين في التعامل مع غير المسلمين أنهم لم يصروا في جميع الأحوال على تسمية ما يبذله الذميون جزية إن هم رفضوا أداءها تحت هذا الاسم وبهذا العنوان، وقد قال عمر بن الخطاب للنعمان بن زرعة عن بني تغلب الذين أنفوا من أن يسمى ما يعطونه جزية، خذ منهم الجزية باسم الصدقة، لكن عمر كان يعجب كيف يرضى بنو تغلب بالمضمون ويأنفون من التسمية[2]، وقد طاوعهم عمر لعلمه بأن إدارة الخلاف تستدعي ذلك، ولأنه لم يكن مطلوبا أن يصرح غير المسلمين حين يؤدون ما وجب عليهم أن ذلك جزية، إذ يكفي أن يسميها المسلمون بذلك الاسم الذي له إيحاءات متعددة سبق الحديث عنها.

وأخذا من موقف عمر هذا، فإذا رفض غير المسلمين التسمية بأهل الذمة واختاروا حاليا أن يسموا مواطنين فقط، فإنه يمكن القبول بذلك اعتبارا للجامعة السياسية المتمثلة في الشراكة في الوطن، وهي أيضا علاقة واقعية لا تنافي اختلاف بعض المواطنين عن البعض في الدين. لان الإسلام لم يتبن بإزاء المخالفين الإقصاء عن الوطن أو التشريد عن الديار في الظروف العادية، هذا إلى جانب ما تمليه المتغيرات الدولية التي أصبحت تمنع التمييز بين المواطنين على أساس ديني أو عرقي أو جهوي[3].

إلا أن القبول بالمواطنة في التسمية لا يمنح غير المسلمين حق

١- الفروق للقرافي ٣/ ١٤ دار المعرفة بيروت .

٢- ـ أحكام أهل الذمة ١/ ٨٠. ـ المغني لابن قدامة ١٠/ ٥٨٣.

٣- فكرة المواطنة ضمن كتاب المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية . طارق البشري ص: ٥٤ دار الشروق القاهرة ٢٠٠٤.

الاعتراض على المرجعية الإسلامية للدولة ذات الأغلبية المسلمة، أو العمل على إلغاء صبغتها الإسلامية بشطب ما يشير إلى ذلك في دساتير الدول الإسلامية وقوانينها.

من الأحكام المتعلقة بهذه المشاركة المالية أن المرأة لا تطالب بها.

يقول الفقهاء: إن المرأة لا تؤدي الجزية فإن هي أدتها وجب إخبارها بأنها لا جزية عليها، وإن هي بذلت الجزية جاهلة بعدم وجوبها فإنها ترد عليها، إلا أن تتطوع بها من نفسها راضية فتكون هبة تجري عليها أحكام الهبة[١].

من فقه أداء الجزية أنها لا تفرض قبل حلول وقتها إلا إذا رضي الملزمون بذلك.

٥- إذا وجبت الجزية على شخص ثم حصل له المانع في السنة بأن افتقر أو أصيب بتعويق جسدي، فإن الجزية تسقط عنه ولا يطالب بقيمة الفترة التي كان فيها سالما وقادرا على العطاء[٢].

-في السلوك الاجتماعي:

١- في مجال تأصيل التعامل الجيد مع غير المسلمين فقد تحدث الفقه عن الكثير من التصرفات الاجتماعية الكفيلة بإعطاء صورة إيجابية عن عالم الإسلام والمسلمين.

ويندرج ضمن هذه التعاملات الاجتماعية حكم عيادة غير

١- المغني لابن قدامة ١٠/ ٥٧٢.

٢-ـ أحكام أهل الذمة ١/ ٢٩.

المسلمين في حالة المرض التي يكون فيها المرء في حاجة إلى التخفيف عنه بالزيارات المتكررة، وبالتعبير له عن الرغبة في شفائه.

فلقد أجاز الفقه زيارة اليهود والنصارى في مرضهم استنادا إلى كون النبي ﷺ عاد يهوديا كان يخدمه، وقد سئل أحمد عن عيادة القرابة والجار النصراني فقال نعم[1].

وكما تجوز عيادة المرضى غير المسلمين، فإنه يجوز للمسلم تشييع جنائزهم، وقد سئل أحمد عن ذلك فقال بجوازه.

ويجوز للمسلم أن يعزي غير المسلم بأي لفظ يعني التصبير كأن يقول لمن يعزيه لا يصيبك إلا خير، أو جعل الله هذا آخر مصائبك.

يقول أبو يوسف سألت أبا حنيفة عن اليهودي أو النصراني يموت له الولد أو القرابة كيف يعزى؟ قال: يقول: إن الله كتب الموت على خلقه، فنسأل الله أن يجعله خير قادم ينتظر، إنا لله وإنا إليه راجعون، عليك بالصبر لما نزل بك، لا نقص الله لك عددا [2]. وقال منصور بن إبراهيم إذا أردت أن تعزي رجلا من أهل الكتاب فقل أكثر الله مالك وولدك وأطال حياتك، ويقول له لا يصيبك إلا خير[3].

٢- من التصرفات الإنسانية التي أقرها الفقه في علاقة المسلمين مع غيرهم جواز التصدق على فقرائهم، اعتمادا على فعل الرسول

١- أحكام أهل الذمة ١/٢٠٠.

٢-كتاب الخراج لأبي يوسف ٢١٦ دار المعرفة .

٣- أحكام أهل الذمة ١/٢٠٤.

الذي تصدق على أهل بيت من اليهود بصدقة ظلت تجرى عليهم.

وقد استند الفقه إلى عدة أدلة منها قول الله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾. (الإنسان: ٨) ورأى الفقهاء في الآية أنها تنص على الإحسان إلى غير المسلمين، لأن الأسرى الذين دعت الآية إلى إطعامهم لم يكونوا مسلمين. وفي هذا السياق يروي أبو عبيد عن عمرو بن ميمون وعمرو بن شرحبيل ومرة الهمداني أنهم كانوا يعطون الرهبان صدقة الفطر، وقد علل أبو عبيد هذا بأن هؤلاء كانوا يرون أن زكاة الفطر ليست هي زكاة الأموال[1].

٣- من أنصع الشواهد على مستوى التعامل مع غير المسلمين ما رآه الفقه من جواز وقف الممتلكات على فقراء اليهود والنصارى، وقد ذهبوا إلى جواز الوقف على من ينزل كنائسهم من المارة والمجتازين وعابري السبيل، لأن الوقف في هذه الحالة هو وقف على المنقطعين.

يقول ابن قدامة من فقهاء الحنابلة: ويصح الوقف على أهل الذمة لأنهم يملكون ملكا محترما، ويجوز التصدق عليهم فجاز الوقف عليهم كالمسلمين.

ويجوز أن يقف المسلم عليه لما روي أن صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ وقفت على أخ لها يهودي، ولأن من جاز أن يتصدق عليه جاز أن

١- كتاب الأموال لأبي عبيد.٢٠٦.

يقف عليه المسلم كالمسلم، والوقف على من ينزل كنائسهم وبيعهم من المارة والمجتازين صح أيضا، لأن الوقف عليهم لا على الموضع[1].

٤- من التعاملات الجيدة التي قررها الإسلام أن يضيف غير المسلمين المسلمين في كنائسهم إن كان ذلك مشترطا في المعاهدات التي تبرم معهم. لكن على المسلمين أن يضيفوا غير المسلمين في الحواضر والبوادي وإن لم يكن ذلك مشترطا، لأن ضيافة الغير يوما وليلة أو ثلاثة أيام مدعو إليها شرعا. بينما تتوقف ضيافة غير المسلمين للمسلمين على اشتراطها في المعاهدات.

وقد سئل أحمد عن ضيافة المسلم لغير المسلم فذكر أنه يضيفه. وقال: إن الضيافة في معنى صدقة التطوع على المسلم للكافر.[2]

-في الحقوق المالية لغير المسلمين:

حينما يرتبط المسلمون بغيرهم بعهود السلم والأمن، فإن من مقتضيات تلك العهود تأمين غير المسلمين على أموالهم فلا يحل شيء منها إلا بالطرق الشرعية لاكتساب المال، ولا يكون هناك فرق بين مال المسلم ومال غير المسلم في وجوب احترامه.

يقول القرطبي: والذمي مع المسلم متساويان في الحرمة التي تكفي في القصاص... وهذا يدل على أن مال الذمي قد ساوى مال

١-المغني لابن قدامة ٦/ ٢٠٧.

٢- أحكام أهل الذمة ١/ ٧٨٣.

المسلم فدل على مساواته بدمه، إذ المال إنما يحرم بحرمة مالكه[1].

ويقول محمد بن الحسن في فصل خصصه للموضوع ضمن كتابه السير الكبير: إن ذلك العهد في حرمة التعرض للأموال والنفوس بمنزلة الإسلام، فكما لا يحل شيء من أموال المسلمين ألا بطيب أنفسهم فكذلك لا يحل شيء من أموال المعاهدين.

وأورد أن ناسا من اليهود يوم خيبر جاؤوا رسول الله ﷺ بعد تمام العهود فقالوا: حظائر لنا وقع فيها أصحابك فأخذوا منها بقلا وثوما فأمر رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فنادى في الناس : إن رسول الله يقول: لا أحل لكم شيئا من أموال المعاهدين إلا بحق [2].

والمعاهدة التي أشار إليها النبي ﷺ تشمل كل من تربطه بالمسلمين علاقات سلمية من أفراد ودول.

وتنطبق العهود حاليا على المواثيق التي يعطيها الأفراد المسلمون للدول التي يطلبون تأشيراتها ويلتزمون ضمن طلبات الحصول عليها باحترام الأموال والممتلكات وكل الحقوق المدنية للأشخاص بالبلاد التي يريدون الانتقال إليها أو الإقامة بها.

إن من الجهل الفظيع بأحكام الدين أن يتوهم المقيم بالبلاد غير الإسلامية أن أموال غير المسلمين أصبحت مستباحة وحلالا له

١- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٢٤٦ ط. دار الكتب المصرية « ٣ . ١٩٦٧.

٢- كتاب السير الكبير محمد بن الحسن ١/ ٩٥

وأنها بمثابة الغنيمة.

وهذا التصور هو أبعد ما يكون عن أن يصور حقيقة الغنيمة، لأنها لا تتم في حال السلم والمعاهدة، وهي من أحكام الإمامة فلا يصح لأحد أن يتناولها من ذاته، وهو إن فعل ذلك كان نهبا وسرقة عسكرية سماها القرآن غلولا وهو كسب حرام بإجماع كل علماء المسلمين[١].

إن الذي يقرره الفقه أن غير المسلمين كالمسلمين في حرمة أموالهم وفي جواز التعامل معهم في كل المعاملات التجارية التي تلتزم بالشروط الإسلامية.

كما أن بإمكان المسلم أن يستأجر غير المسلمين على نحو ما استأجر الرسول عامر بن فهيرة ليدله على طريق الهجرة.

وبإمكان المسلم أن يؤجر نفسه ويعمل لدى غير المسلمين في كل الأعمال التي لا تناقض أحكام الإسلام، وقد ذكر القرآن الكريم عن يوسف عليه السلام وهو نبي أنه عرض على ملك مصر أن يستخدمه أمينا لبيت المال فقال: ﴿ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴾. (يوسف :٥٥)

وقد استفاد المسلمون من الآية جواز اشتغال المؤمن عند غير المؤمن إذا لم يجبره على ظلم أو فساد[٢].

١- مراتب الإجماع لابن حزم ص ١٣٥ دار الآفاق الجديدة بيروت ط ٣ ١٩٨٣

٢- تفسير القرطبي ٤/٢٤٤٤.ط. دار الكتاب العربي بمصر.

-في حرية التدين:

١- من التصرفات التي ميزت حضارة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين من يهود ونصارى ومجوس عدم التعرض لمعابدهم بالهدم أو الإزالة. وهو الأمر الذي نصت عليه الكثير من المواثيق التي عقدت معهم، ومن ضمنها العهدة العمرية.

فقد كتب عمر بن الخطاب لأهل إيليا عهدا نص على إعطائهم الأمان على أنفسهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها أنها لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم[١].

وقد بحث الفقه قضايا إنشاء الكنائس والبيع والإبقاء على الموجود منها. فكان موقفه أن بناء الكنائس يظل مرتبطا بالحاجة إليها. فلا تبنى في الأمصار التي ينشؤها المسلمون ولا تكون بها ساكنة من غيرهم لعدم وجود الداعي إليها.

لكن المسلمين إذا هم مصروا أرضا كانت خالية وكانت بها كنيسة أو دير أو بيعة فصار ذلك داخل البلد فإنه يحافظ عليه اعتبارا لأصل وجوده، وإن كان أغلب الساكنة من المسلمين. وهذا ما حدث في القاهرة التي كانت من قبل فضاء به كنائس ثم أدار بها المسلمون السور فأصبحت الكنائس داخل المدينة الإسلامية، فحافظ عليها المسلمون ضمن نسيج عمراني إسلامي.

١- تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣/ ٦٠٩.

ومن الأحكام المتصلة بوجود الكنائس في بلاد المسلمين أن الفقهاء ذكروا أنه يستحب للإمام أن يشترط على غير المسلمين أن تحتوي الكنائس على منازل للضيوف المسلمين، وهو ما صالح عليه عمر أهل الشام إذ اشترط عليهم السماح للمسلمين بالنزول بالكنائس بالليل أو بالنهار وأن توسع أبوابها لمن يرغب في دخولها.

واشتراط الضيافة يؤدي إلى التواصل وإلى فتح النقاش حول العقيدة وهو ما يؤدي غالبا إلى معرفة الحقيقة.

٢- من الأحكام المتصلة بموضوع دخول الكنائس ما ذهب إليه معظم الفقهاء من المالكية والحنابلة وبعض الشافعية من أن للمسلم أن يدخل معابد غير المسلمين لضرورة ولغير ضرورة، ويدخلها الزوج المسلم إذا طولبت زوجته اليهودية أو النصرانية باللعان[١].

وقد ذهب المالكية إلى أن ملاعنة الزوجة الكتابية تتم في المعبد الذي تعظمه فتحلف اليهودية في البيعة، والنصرانية في الكنيسة، كما أن المجوسية زوجة المجوسي إن احتكما إلى قضاء المسلمين فإنهما يتلاعنان في بيت النار.

١- جواهر الإكليل شرح مختصر خليل صالح عبد السميع الأبي ١/ ٣٨١.دار إحياء الكتب العربية مصر. المغني لابن قدامة ١٠/ ٥٦٩.

المبحث الخامس

التمثل الحضاري

لموقف الإسلام من الغير

المبحث الخامس: التمثل الحضاري لموقف الإسلام من الغير

لما كان للإسلام موقفه المحدد من غير المسلمين وكان موقفا يطبعه النزوع نحو التفاهم والتحاور والتعاون، فقد كان طبيعيا أن يكون لذلك الموقف آثاره وانعكاساته الإيجابية على سلوك المسلمين وتصرفاتهم مع الغير، كما كان طبيعيا أن تشهد لهذا الموقف شواهد أدبية ومادية طبعت شخصية الحضارة الإسلامية ومنحتها تفردها وخصوصيتها، ويكفي لإبراز التمثل الحضاري لموقف الإسلام إيراد نماذج تاريخية من جملتها:

أنه كان لموقف الإسلام المتسامح جدواه وفائدته بالنسبة للمسلمين ولغير المسلمين معا.

فهو قد أتاح لغير المسلمين فرص العيش الكريم والتعبير عن مواهبهم وقدراتهم العلمية والفنية بما حققوه من إسهام علمي وأدبي، وبما أنجزوه من آثار حضارية، كما كان لموقف الإسلام جدواه بالنسبة للمسلمين بما أتاح لهم من فرص إبراز الوجه الحضاري للإسلام، وبما مكنهم من الاستفادة من خبرات غير المسلمين ومعارفهم في مجالات العلوم الطبيعية والتجارب البشرية.

من أجل إبراز الوجه الحضاري للتعامل مع المسلمين فإنه يحسن سوق نصوص لغير المسلمين من دارسي الحضارة والمؤرخين القدماء والمحدثين.

ـ يقول آدم ميتز: لقد كان وجود النصارى بين المسلمين سببا لظهور مبادئ التسامح التي نادى بها المصلحون المحدثون، فكانت الحاجة إلى المعيشة المشتركة وما ينبغي أن يكون فيها من رفق مما أوجد من أول الأمر نوعا من التسامح الذي لم يكن معروفا في أوربا في العصور الوسطى. ومظهر هذا التسامح نشوء علم مقارنة الأديان أي دراسة الملل والنحل على اختلافها والإقبال على هذا العلم بشغف[١].

لقد أجمع دارسو الحضارة الإسلامية على أن التسامح كان سمة التعامل مع غير المسلمين في البيئة الإسلامية على أصعدة حرية التدين وتولي المناصب وممارسة الأنشطة العلمية والاقتصادية والاجتماعية.

١- فبخصوص استفادة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي من حرية التدين يذكر المؤرخون أن الجاثليق الذي هو رئيس الكنيسة النيسطورية كان له مركز على مستوى دار الخلافة، فكان ينتخب من قبل الكنيسة ثم يصادق الخليفة على ذلك الانتخاب ويكتب له عهدا بذلك مثلما يكتب لكبار الموظفين[٢].

٢- يقول ليفي بروفنسال: يتضح أن الرعايا المسيحيين كانوا منقسمين داخل كل إدارة إقليمية إلى مجموعات كانت الحكومة المركزية تعين على كل مجموعة منها رئيسا مختارا من بين أفرادها

١- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم ميتز، تعريب محمد عبد الهادي أبي ريدة، ص: ٧٥، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧.

٢- تاريخ الحضارة الإسلامية، آدم ميتز ١/ ٧٦.

يدعى القُومس كما كانت تعين لها أحيانا محاميا يتولى الدفاع عنها[١].

٣- بلغ من تسامح المسلمين أن الخليفة المأمون أصدر كتابا لأهل الذمة يضمن لهم فيه حرية الاعتقاد وحرية تدبير كنائسهم، بحيث يكون لكل فريق منهم مهما كانت عقيدته ولو كانوا عشرة أنفس أن يختاروا بِطْريقَهم ويعترف لهم بذلك، لكن رؤساء الكنائس هاجوا وأحدثوا شغبا فعدل المأمون عن إصدار الكتاب[٢].

٤- قد بلغ من استفادة نصارى النوبة أنهم اخترقوا النظام السياسي الإسلامي، فكان لهم وهم داخل دولة الإسلام ملك خارجها، وكان له ممثلون وعمال يجمعون له الضرائب في البلاد الإسلامية. وقد حدث أن أحد النوبيين اعتنق الإسلام وكان ابن ملك النوبة في زيارة لبغداد فأمر باعتقال ذلك النوبي وغله بالقيود في مركز الخلافة [٣].

٥- من صور التعامل مع غير المسلمين أن المسلمين لم يمنعوا غيرهم من ممارسة طقوسهم الدينية وإحياء أعيادهم، فظلوا يحتفلون بأحد الشعانين والخميس المقدس وعيد الفصح وغيرها من المناسبات الدينية، وكان المسيحيون يخرجون في مسيرات كنائسية وهم يحملون أغصان الزيتون وجريد النخل والصلبان.

١- تاريخ إسبانيا الإسلامية ليفي بروفنسال، ترجمة عبد الرؤوف اليمني، المجلس الأعلى للثقافة بمصر، ٢٠٠٢، ص: ١٩٢.

٢- الحضارة الإسلامية ١/٩٠.

٣- الحضارة الإسلامية ١: ٨٠.

٦- لقد سمح المسلمون بأن تكون الكنائس والبيع محاكم لغير المسلمين يتولى القضاء فيها الأحبار والقساوسة ويصدرون الأحكام ويقومون بما يقوم به كبار القضاة بالنسبة للمسلمين[1].

يقول بروفنسال: إن المستعربين ـ وهم الذميون ـ كان يحكم بينهم قاض خاص هو قاضي النصارى أو قاضي العجم[2].

٧- قد كان تسامح المسلمين مع غيرهم أظهر من تسامح الطوائف المسيحية مع بعضها في كل أماكن وجودها.

يقول آدم ميتز: إن الكنيسة الرسمية في الدولة الرومانية الشرقية قد ذهبت في معاداتها للمسيحيين الذين يخالفون رجالها في التفكير أبعد مما ذهب إليه الإسلام بالنسبة لأهل الذمة، فلما استعاد الإمبراطور نقفور افتتاح بلاد الشام في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، كان مما وعد به أهل الشام وأمنهم به أن يحميهم من مضايقة كنيسة الدولة، لكنه رغم هذا الأمان لم يأل جهدا في مضايقة اليعقوبيين، فاضطرهم مثلا إلى الخروج من أنطاكية، ولذلك نجد مؤرخي اليعقوبيين يصفون البطارقة الذين عينتهم الدولة في أنطاكية بأنهم أضل من فرعون وأشد كفرا بالله من بختنصر[3].

١- تاريخ الحضارة الإسلامية ١/ ٩٢

٢- إسبانيا الإسلامية ليفي بروفنسال ترجمة عبد الرؤوف اليمني ١/ ١٩٢

٣- تاريخ الحضارة الإسلامية ١/ ٨٩.

٨- من أوجه ممارسة غير المسلمين للحقوق المدنية أنهم كثيرا ما تولوا مهمات ومناصب على مستوى الدولة وفي نطاق المؤسسات المهنية، يقول آدم ميتز: لم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال، وقد كان قدمهم راسخا في الصنائع التي تدر الأرباح الوافرة، فكانوا صيارفة وتجارا وأصحاب ضياع وأطباء، بل إن أهل الذمة نظموا أنفسهم حيث كان معظم الصيارفة والجهابذة في الشام مثلا يهودا في حين كان أكثر الأطباء والكتبة نصارى، وكان رأس النصارى ببغداد وهو طبيب الخليفة، وكان رؤساء اليهود وجهابذتهم عنده[١].

٩- يقول ول ديورانت : لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصائبون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فقد كانوا أحرارا في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم... ويقول عن وضعية اليهود إنهم أصبحوا يتمتعون بكامل الحرية في حياتهم وفي ممارسة شعائر دينهم في بيت المقدس، وأثروا كثيرا في ظل الإسلام في آسية ومصر وإسبانيا، كما لم يثروا من قبل تحت حكم المسيحيين.

وكان المسيحيون في بلاد آسية الغربية خارج حدود الجزيرة العربية يمارسون شعائر دينهم بكامل الحرية وبقيت الكثرة الغالبة

١- تاريخ الحضارة الإسلامية ١/ ٨٦.

من أهل بلاد الشام مسيحية حتى القرن الثالث الإسلامي، ويحدثنا المؤرخون أنه كان في بلاد الإسلام في عصر المأمون أحد عشر ألف كنيسة، كما كان فيها عدد كبير من هياكل اليهود ومعابد النار[١].

ولقد صور مؤرخ نصراني قديم هو غريغوريوس المعروف بابن العبري « ١٢٨٦م» الوضع الاجتماعي الذي تمتع به النصارى في الدولة الإسلامية وذكر لذلك نماذج متعددة منها:

١٠- إن الخليفة أبا جعفر المنصور احتاج إلى طبيب ماهر فذكر له جيورجيس بن بختيشوع فاستدعاه من جنديسابور، وصحب المنصور وعالجه، ولما مرض الطبيب أمر المنصور أن يحمل إلى دار العامة، وخرج إليه المنصور ماشيا ليعرف حالته الصحية ثم قال له المنصور: اتق الله وأسلم وأنا أضمن لك الجنة، فقال جيورجيس قد رضيت حيث آبائي في الجنة أو في النار، فضحك المنصور من جوابه[٢].

١١- يذكر ابن العبري أن سلمويه كان عالما بصناعة الطب ولما مرض عاده المعتصم وبكى عنده، ولما مات أمسك المعتصم عن الأكل ذلك اليوم، وأمر بإحضار جنازته إلى الدار، وأن يصلى عليه بالشموع والبخور على رأي النصارى ففعل ذلك وهو يراهم[٣].

١- قصة الحضارة ول ديورانت ١٣/ ١٣٢ ترجمة محمد بدران. الهيئة المصرية العامة للكتاب.٢٠٠١.

٢- مختصر تاريخ الدول لابن العبري ص ١٢٤. المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٨.

٣- مختصر تاريخ الدول لابن العبري ص ١٤٠

١٢- وقد اجتمع في بلاط هارون الرشيد عدة أطباء من غير المسلمين منهم بختيشوع بن جيورجيس، يوحنا بن ماسويه النصراني السرياني، وقد عهد إليه الرشيد بترجمة الكتب الطبية القديمة، وكان يعقد مجلسا للعلم يحضره مئات الطلبة.

المبحث السادس:

مشروع العلاقة المستقبلية مع غير المسلمين

المبحث السادس: مشروع العلاقة المستقبلية مع غير المسلمين

يتنوع المخالفون للمسلمين دينيا بين أن يكونوا يهودا أو نصارى ومن ألحقوا بهم في بعض الأحكام ممن قال فيهم عليه السلام: سنوا بهم سنة أهل الكتاب[1]. وبين أن يكونوا غير متدينين أصلا. والإنسان المسلم مدعو إلى أن يفتح مع هؤلاء جميعا قنوات للحوار تنطلق من الوضع الديني والثقافي الذي يكونون عليه.

وحديث الإنسان المسلم إلى أتباع الديانات الأخرى لا بد أن يستند إلى حقائق تفيدهم في تصحيح تصوراتهم عن الإسلام، مع اعتبار وقوع كثير منهم ضحايا صورة نمطية كالحة عن الإسلام حاولت أن تقيم لديهم حاجزا نفسيا يبقيهم في حال بعد دائم عن الإسلام وخوف مستمر منه، وعداوة غير مبررة له.

وترتد أوليات هذه الصورة إلى الحملة التي تبناها بطرس المكرم الذي تعمد رسم صورة شائهة عن الإسلام، وبذل في ذلك جهدا كبيرا من جملة مراحله وخطواته إنجاز ترجمة مشوهة وسقيمة لمعاني القرآن، وتوالى تركيب هذه الصورة النمطية حتى غدت آثارها حاجزا سميكا يحول بين أهل الديانات وبين الإسلام.

وقد تعاقبت جهود التشويه بوتيرة متسارعة يذكر عنها إدوارد

١- الموطأ. كتاب الزكاة.

سعيد أن الغرب أنجز ما بين سنتي ١٨٠٠ م إلى ١٩٥٠ أكثر من ٦٠,٠٠٠ مؤلف كلها تسيء إلى صورة الشرق[١]. ومن أبرز مشمولات صورة الشرق صورة الإسلام بالذات.

وهذا المعطى لا يفيد التذكير به إلا بمقدار ما ينبه على العوائق الثقافية الكثيفة المانعة من إقبال الآخرين على فهم الإسلام، وإلا بمقدار ما يحفز على العمل من أجل تفكيك تلك الصورة النمطية لمعانقة الحقيقة كما هي.

ثم إن الغرب لا زال ينتشي بإحساسه بموقع المركزية الكونية التي تأسست فيه من خلال قراءة فلسفة أرسطو وهيجل[٢] ورينان وكل من سار على طريق التأكيد على الخصوصية الغربية التي بلغت أوج استعلائها في صورة النازية.

وقد أضيف إلى هذه الصورة السيئة عن الإسلام والمسلمين حاليا وسم الإسلام بأنه دين إرهاب، وأن المسلمين هم إرهابيون بالتكوين والثقافة، وقد فات هؤلاء أن الإرهاب ليس وليد اللحظة الراهنة، وإنما هو انحراف تاريخي لا وطن له ولا دين، وقد مارسته عند الغربيين مجموعات الموت التي دبرت اغتيال الرؤساء وأحداث أو كلاهما، وأحداث العنف التي تنفذها بعض الجماعات

١- الاستشراق المعرفة والسلطة والإنشاء . إدوارد سعيد .ص: ٢١٦. ترجمة كمال أبو ديب مؤسسة الأبحاث العربية ط.٥ بيروت ٢٠٠١.

٢- المركزية الغربية . د. عبد الله إبراهيم. ص: ٥٧-١٥٣ ط. المركز الثقافي العربي الدار البيضاء.١٩٩٧.

الانفصالية، وجماعات الجريمة المنظمة، وجماعات العنصريين والنازيين الجدد التي تحرق على الأجانب بيوتهم وتترصدهم لتقتلهم على الهوية، ونفذها بعض الجنود الذين ارتكبوا جرائم بشعة، وقد أصبح مألوفا في المجتمعات التي ترى العنف في غيرها أن تنشأ أحداث العنف لديها في ملاعب الكرة لتتحول إلى ساحات للصدام الدامي وللاعتداء على الأشخاص والممتلكات.

وحين نريد أن نحاور أتباع الديانات، فإنه لابد من أن نؤمن بضرورة مساعدتهم على تجاوز كل العوائق الفكرية والنفسية التي تمنعهم من الانفتاح على الإسلام وتفهم حقيقته.

ولنا في هذه السبيل أن نبلغهم الحقائق التالية:

- إن المسلمين بحكم استقائهم من القرآن الكريم يضمرون كل توقير واحترام للأنبياء السابقين، ويدركون مبلغ المعاناة التي تحملوها في سبيل إرشاد الناس إلى الخير وتعريفهم بالله، وهم يعتقدون فيهم العصمة ويردون كل خبر يريد إلحاق أي منقصة بهم.

- إن في القرآن الكريم سورة تسمى باسم مريم إشادة بحياتها الطاهرة، على أن القرآن الكريم ليس فيه سورة باسم خديجة أو عائشة زوج النبي ﷺ أو فاطمة ابنته، كما أن في القرآن سورة أخرى باسم أسرة مريم هي سورة آل عمران إشادة بفضلها كذلك.

- إن القرآن الكريم أباح للمسلم أن يتزوج بالكتابية مع العلم

بأن ذلك يؤدي إلى إنشاء صلة المصاهرة التي تجعل من الكتابيين أجدادا وجدات للإنسان المسلم، وتجعل منهم أخوالا وخالات للمسلمين.

- إن المسلمين قد تعاطفوا وجدانيا مع قضايا الكتابيين وتألموا لانكساراتهم العسكرية، فحزنوا لهزيمة الروم المسيحيين أمام الفرس المجوس، فبشر الله المسلمين بانتصار الروم في بضع سنين فقال الحق سبحانه: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾ (الروم: ١-٥).

إن الإسلام، وهو يعرف بدعوته، لا يسعى إلا إلى أن تكون له نفس فرص التواصل التي كانت لغيره من الديانات حينما عرف بها أتباعها وعرضوها على الناس، والإسلام في كل الحالات لا يسعى إلى استئصال الذين يخالفونه عقيدة ودينا.

لكن الإسلام، وهو يعرف بنفسه، فإنه ينطلق من ممارسة فريضة الحوار الديني وهو لا يلف دعوته بتقديم الإغراء المالي أو بوعود الإلحاق بمجتمعات الكفاية المادية، لأن التركيز على حالة الفقر والجهل في المدعوين لا يدع لهم فرصة كبيرة للمحاورة أو المجادلة المتكافئة، لأن الوضع الاقتصادي يكون في هذه الحالة هو المحدد الأكبر للاختيار، فتنعدم بذلك الحرية، وقد وعى المسلمون من دعوة النبي ﷺ أنه كان يدعو من يثق بعقله.

إن على المسلم أن يبرز أن الإسلام يقرر أن الوحي تنزل عبر فترات مختلفة من الزمن، فأعطى خلال كل مرحلة ما كان مناسبا لمستوى الإدراك ولحاجات المجتمع من الأخلاق، ثم جاء الإسلام ليكون صيغة أخيرة متجاوبة مع الوضع الفكري الذي بلغه الإنسان بعد كل المراحل. وكان الإسلام عبر التاريخ هو دين الله الموحى به، وكان الأنبياء كأنهم إخوة أبناء لعلات أمهاتهم شتى، ودينهم واحد[١] كما قال عنهم.

وقد كان الإسلام في كل مرحلة كما مثل له د. عبد الله دراز في بحثه القيم الذي قدمه للمؤتمر العالمي للأديان المنعقد بلاهور سنة ١٩٥٧ بمثابة ثلاثة أطباء زار أولهم طفلا في طوره الأول فقرر له غذاء يقتصر على اللبن، وفحص الثاني الطفل في مرحلة تالية فقرر له طعاما نشويا خفيفا، وفحصه ثالث في مرحلة أخرى فأذن له بغذاء كامل[٢]. والإسلام في صيغته النهائية لا يتنكر لسيرورة الوحي.

إن ملاحظات الإسلام على أتباع الديانات لا تختلف كثيرا عن ملاحظات كثير من دعاة الإصلاح الديني في اليهودية والإسلام، على نحو ما سجلته دعوات الإصلاح في المسيحية كالبروتستانية والكالفينية. وكل محاولات الإصلاح الديني تؤكد ملاحظات القرآن على ما تعرضت له الديانات من تغيير.

١- صحيح البخاري كتاب الأنبياء والمسند ٤٠٦/٣- ومسلم كتاب الفضائل.

٢- بحث موقف الإسلام من الأديان الأخرى وعلاقته بها. د. محمد عبد الله دراز. عن كتاب النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين د. محمد رجب البيومي ٢٤٦/٢. دارالقلم بيروت ١٩٩٥.

المبحث السابع:

مجالات الالتقاء والعمل المشترك بين أتباع الديانات

المبحث السابع:

مجالات الالتقاء والعمل المشترك بين أتباع الديانات

حتى يتمكن المسلمون من زحزحة الصورة السيئة التي ارتسمت في أذهان أتباع الأديان عن الإسلام، فإن من الممكن جدا أن يؤسسوا مشروعا للتعاون يخدم قضاياهم المشتركة، ويمكن عرض الجوانب التالية:

- التعاون العلمي من أجل مواجهة موجة الإلحاد واللاتدين، وإقرار أهمية التدين في حياة الإنسان، وضرورة الاستناد إلى الدين من أجل تثبيت الأخلاق ودعم وجودها في المجتمع.

ويمكن في هذا الاتجاه الاستفادة من الأدلة العقلية المقنعة بالإيمان، وتبادل الدراسات النفسية والاجتماعية المفيدة في الموضوع، وقد كان المسلمون لا يترددون في استعمال نتائج البحوث النافعة، فكان المفكرون المسلمون في العصور الحديثة يستدلون على فطرية الإيمان بما لاحظه برجسون من أن كل المجتمعات البشرية تحتوي على دور للعبادة، وإن كان بعضها قد يخلو من مؤسسات كثيرة. وهو ما يفيد فطرية الدين وحاجة النفس إليه، وقد دأب المفكرون المسلمون المحدثون على الاستشهاد بقول ديكارت إن اللّه هو مبدأ العلم كما أنه مبدأ الوجود، وقوله وجود اللّه أكثر يقينية

من الدعاوى الهندسية والقوانين الرياضية[١].

وقد استند المفكر المسلم إلى ما أسماه كانط بالدليل العملي للإقناع بجدوى الإيمان[٢] كما تقبل المفكر المسلم قول كانط بأن صفة وجود الله هي صفة ذاتية[٣]، وهذا يناظر معنى الصفة النفسية عند المسلمين. وقد استشهد الكتاب المسلمون المعاصرون مرارا ببحوث ألكسيس كاريل المرتكزة على بيان حكمة الله من خلق الإنسان [٤].

في مقابل ذلك كله فلا شك أن علماء الأديان الأخرى قد استفادوا من بحوث المفكرين والعلماء المسلمين في مجال التدليل على وجود الخالق، وقد كان للمسلمين جهد عظيم تمخض عنه وضع مؤلفات عديدة في دلائل التوحيد، وقد تبلغ تلك الأدلة في بعض المؤلفات خمسة وعشرين دليلا مقدمة تقديما فكريا عميقا، وإلى جانب ذلك، فقد كانت المناظرات العقدية والنقاشات الكلامية مما أفاد منه علماء الأديان الأخرى.

- ومن المجالات التي يمكن أن تكون مساحات مشتركة للتعاون بين أهل الديانات دفاعهم عن الأخلاق المهددة بموجات الإباحية

١- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين الشيخ مصطفى صبري ٢١٢/٢.
الفلسفة الحديثة د. كريم متى ص: ٧٣ دار الكتاب الجديد بيروت ٢٠٠٠.
٢- قصة الفلسفة ول ديورانت ٣٥٦ دار المعارف بيروت ٦٨.
٣- الفلسفة الحديثة عرض نقدي د. كريم متى ص.٢٧٧.
٤- الإنسان ذلك المجهول ألكسيس كاريل ترجمة شفيق أسعد مؤسسة المعارف.

والتنكر للقيم، ووقوفهم صفا واحدا في وجه كل الاختلالات التي تهدد وجود الإنسان ومستقبله، ومنها الإجهاض والاستنساخ وتدمير نواة الأسرة، وإلغاء آدمية الإنسان عن طريق العبث الجيني الذي يفضي إلى تسليع الإنسان وتحويله إلى قطع غيار تعرض في الأسواق.

ـ ومن المجالات التي يمكن أن تعطي للتدين معناه وقوف أتباع الأديان في وجه الظلم والاستبداد واحتلال الأراضي بالقوة.

المبحث الثامن:

اهتمامات الحوار

مع غير المعتنقين للدين

حينما يتوجه الإنسان المسلم إلى من لا يعتقد أي دين ، فإنه لا بد أن يبرز له أن مما يتميز به الإسلام أنه ينظر إلى كل البشر على أنهم مكرمون بموجب قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(الإسراء:٧٠)

وأن كل الناس لهم الحق في الحياة، وهو حق لا يتأثر بكونهم غير مؤمنين بالخالق.

وأن الإسلام لا يرى في المخالفين إلا أنهم موضوع دعوته وبلاغه، ولهم أن يختاروا ما يشاؤون بكل وعي ومسؤولية من غير أن يكرهوا على الإيمان بشيء، يقول الله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٥٦).

وأداء أهل الإسلام لرسالة البلاغ هو أداء يستبطن الرحمة والشفقة، ولأجل ذلك يتحمل الداعي إلى الله ما يتحمل من صنوف الإذاية توصلا إلى إلحاق الخير بمن يدعوه إلى الله، ويتجلى ذلك الحنو حين يقف الرسول ﷺ معتذرا عن جهل قومه واعتدائهم عليه فيقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

إن المطلوب في الخطاب الموجه إلى المخالفين من أهل الكتاب،

ومن غير أهل الكتاب، أن يسعى إلى إعطائهم صورة جيدة تصل إلى تحريرهم من تخوفاتهم الوهمية من الإسـلام، لأن عقدة الخوف من الإسلام ليست أكثر من شعور وهمي زائف راهن على إشاعته وترسيخه في حياة الناس مناوؤون أجادوا توظيف أخطاء أقدم عليها أشخاص منسوبون إلى الإسلام في ظروف غامضة واستثنائية، وهي أخطاء صدر مثلها من أتباع جميع الديانات من غير أن تمتد الإدانة بها إلى الأديان نفسها.

إن صورة العنف القصير العمر في حياة المسلمين لا يجوز أن تكون هي المعبر عن توجه الإسلام، كما لا يجوز موضوعيا أن تلغي تاريخ الإسلام الطويل وماضيه في التسامح مع المخالفين، وهو تسامح شهد له التساكن بين المسلمين وغيرهم، وبلوغ غير المسلمين في الدولة الإسلامية وفي المجتمع الإسلامي شأوا بعيدا من النفوذ ومن الموقع الاجتماعي.

إن المسلمين قد أعطوا مجددا الانطباع الحق عن التوجه الإنساني لدينهم لما أسهموا في الأعصر الأخيرة في تحرير البلاد الأوروبية من النازية والفاشية، فشاركوا في صناعة النصر الذي تحقق للأوروبيين على عدوهم، كما شاركوا في تحقيق النهضة الاقتصادية والعمرانية للبلاد الأوروبية.

وإن الكثير من أنواع التوتر يعود لأسباب سياسية، ولتداعيات أفرزتها مرحلة الاستعمار وما ارتكب فيها من أنواع الظلم الذي

سمم العلاقات. كما يعود إلى أسباب ثقافية ناشئة عن التلقين الخاطئ وعن ضعف التواصل والالتقاء.

ومن جهة أخرى، فإن على المسلم أن يدرك أيضا أن الغرب ليس نمطا واحدا ولا فكرا متماثلا، وإنما هو تشكيلة واسعة من أفكار متنوعة واتجاهات متباينة، فإذا وجد في الغربيين من تحكمهم صورة نمطية سيئة عن الإسلام ومن يروجون لمبدإ صراع الحضارات، فإن هذا لا يجوز أن يحجب عنا حقيقة أن في الغرب أشخاصا آخرين وهيئات عديدة لها مواقف جيدة من الإسلام والمسلمين، فمن رجال الغرب ونسائه من أنصف الإسلام وأشاد به وعمل على تصحيح صورته.

ومشكلتنا أننا قد شغلنا عن الالتفات إلى هؤلاء الذين أنصفوا الإسلام وساندوا قضايا المسلمين، ولم نهتم إلا بخصوم حضارتنا فأوليناهم من الاهتمام ما كنا به مساعدين لهم على ترويج افتراءاتهم وتقولاتهم.

إن الباحث ليجد في الأدبيات الغربية قديما وحديثا أقوالا جميلة في حق الإسلام، فقد رسم «جوته» في الذهنية الغربية صورة جميلة للإسلام، وكانت له إشادات بالإسلام إلى الدرجة التي أعلنت معها مجموعة «فايمر» أن «جوته» قد كان مسلما استئناسا بمداومته على قراءة القرآن، وأدائه لصلاة الجمعة في إحدى المرات سنة ١٨١٤ مع بعض الجنود الروس المسلمين، ومن أقواله الشهيرة إذا كان

الإسلام معناه أن نسلم أمرنا إلى الله فعلى الإسلام نعيش وعليه نموت، وقد كان لـ«فكتور هيجو» و«تولستوي» و«برناد شو» وآخرين غيرهم عبارات إعجاب قربت عالم الإسلام إلى الغربيين.

ولقد اشتغل كثير من الباحثين بجد على تكسير الصورة النمطية المشوهة التي ارتسمت في ذهن الغرب عن الإسلام، فكان للباحثة «زغريد هونكه» جهد مشكور في إبراز القيم الإسلامية بعد أن خبرتها من خلال دراستها وإقامتها مدة سنتين بمراكش، وبذلت «أنا ماري شيمل» جهودا علمية في التعريف بالإسلام، وقد تعرضت الكاتبتان لمضايقات كثيرة وحاولت مجموعة متعصبة حجب جائزة الكتاب الألماني عن «أنا ماري شيمل» سنة ١٩٩٥. وكتب «مونتجمري» عن فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ودافع بقوة عن قيم الإسلام، وكتب «غورافسكي» مقارنا بين الإسلام والمسيحية حديث المنصف.

وعلى العموم، فإن للثقافة الإسلامية عددا وفيرا من المفكرين الأصدقاء المناصرين في ديار الغرب، وقد كان بالإمكان أن يكون الاهتمام بهم سبيلا إلى صنع تيار جديد في هذه البلاد.

وإذا لاحظ المسلم وجود أشخاص وفئات من أهل الغرب تناصب المسلمين العداء وتقف ضد مصالح المسلمين، فإن الواجب يقضي بالالتفات إلى نشطاء آخرين تحمسوا لقضايا المسلمين العادلة وواجهوا التيار المعادي للإسلام في بلادهم ، ومن هؤلاء مفكرون أمثال «نعوم تشومسكي» الذي ارتبط اسمه بالدفاع عن العرب على

حد ما ارتبط بالدراسات اللسانية، ومنهم الكاتب «جاك كيلي» الذي تلقى ٣٠٠ رسالة رفض بعد أن قاوم فكرة اتهام المسلمين بالإرهاب ، ومنهم «بول فندلي» و«روبرت فيسك» و«جوسلين سيزار» التي كتبت: هل يجب الخوف من الإسلام؟.

وأعداد هؤلاء الباحثين تتنامى، وهم جزء من الغرب، ومن المفيد توثيق الصلة بهم ودعمهم وإبراز القيمة العلمية والحضارية لأعمالهم من أجل أن يكونوا طليعة انفتاح الغرب على عالم الإسلام.

المبحث التاسع:

في طريق البناء المشترك لمشروع التسامح الحضاري

المبحث التاسع: في طريق البناء المشترك لمشروع التسامح الحضاري

هذه صورة جد مصغرة ومختزلة عن واقع الحضارة الإسلامية وما انطوت عليه من قيم التسامح والاعتراف بوجود الآخر والإقرار بحقوقه المعنوية والمادية وحمايتها شرعيا ومجتمعيا.

وفي هذه الصورة المقتبسة من كثير من نصوص الكتاب والسنة ومن فعل النبي ومن تمثلات الصحابة وأقوال الفقهاء وإنجازات الحضارة ما يرتفع بالحديث عن موضوع التسامح عند المسلمين من مستوى التنظير أو الادعاء إلى مستوى الاستشهاد بالممارسة العملية التي تحققت فعلا في التاريخ وعاشها المسلمون ثقافة مستوعبة ونظاما اجتماعيا مطبقا في التعامل مع الغير، وخلف هذا كله شواهد مادية ومجتمعية لا زالت ماثلة إلى الآن.

وسمة التسامح في الإسلام لا يمكن أن يدرك عمقها ومستواها إلا إذا أعيدت إلى سياقها التاريخي الذي تمت فيه، وهو سياق انعدم فيه أي حديث عن التسامح وأي مناداة بحقوق الآخرين في الاستمتاع بحرياتهم الدينية وبالعيش على النمط الذي يختارونه لأنفسهم.

ومن هذه الزاوية يجب أن ينظر إلى الحضارة الإسلامية لا على أنها مجرد حضارة تؤمن بالتسامح وتعيشه، وإنما يجب أن ينظر

إليها على أنها الحضارة التي تفردت به في محيط عالمي كان يعيش ثقافة أخرى مناقضة.

وسمة التسامح في الحضارة الإسلامية لا يمكن أن تعرف قيمتها أيضا إلا حينما توضع بإزاء وضع مخالف عاشته ثقافات أخرى تمكنت من التغلب في بعض فترات التاريخ على بعض المناطق الذي حكمها المسلمون، فاتجهت في إصرار عجيب وإجماع مجتمعي مطلق على تنفيذ سياسة الاستئصال الديني والعرقي والاقتلاع الحضاري، فرفضت أن يعايشها من لا يؤمن بعقيدتها فضلا عن أن تكون له حقوق في ظلها، وعملت على طمس كل أثر مادي أو علمي يشهد للمستوى المعرفي والفني الذي بلغته الحضارة الإسلامية زمن تألقها.

وهكذا وضعت هذه الثقافة المسلمين أمام خيارات صعبة هي خيار التحول عن الدين أو الإقصاء والتشرد عن الوطن أو التعرض للموت والزوال، فكانت مرحلة دموية لا زالت الرسوم والتماثيل المحفوظة في المتاحف، والمجسمات المنصوبة في الميادين العامة، ودور الثقافة تشهد على طبيعة الثقافة التي آمن بها الناس.

ولقد خسر العالم بسبب روح التعصب واللاتسامح تراثا إنسانيا كبيرا قوامه الكثير من المآثر العمرانية والمنجزات العلمية والتحف الفنية الراقية جراء ما وقع من هدم وتدمير للكثير من المساجد والمدارس والمكتبات والقصور والحدائق التي لا يمكن أن يعبر

القدر المتبقي منها عن عددها وكثرتها، لأنه لا يمثل القدر المفترض وجوده ضمن حضارة أقامت وجودها على العلم والفن والجمال.

وقد كان الأثر التدميري على الخصوص كبيرا بل وكارثيا على الآثار العلمية من كتب ومصنوعات طبية وفلكية وما سواها.

ووجه التميز بين الحضارة الإسلامية وغيرها أن الإنسان المسلم كان يجد دائما في النصوص الشرعية وفي الأحكام الفقهية ما يردعه ويمنعه من أن يعتدي على حقوق غير المسلمين وما يدينه إن هو اعتدى، بينما كان غير المسلم يجد السند القوي لعدوانه على المسلمين في المؤسسات القائمة، ومنها المؤسسة الدينية، بل إن كثيرا من الأحكام كانت تصدر بين جنبات تلك المؤسسة وكانت تنفذ بأيدي رجالها وبمباركتهم.

وحين نسعى إلى تأسيس ثقافة متسامحة تمهد للتعايش والتعاون، فإن المسلمين يكونون مطالبين بالرجوع إلى الثقافة الإسلامية التي ترشدهم إلى الأسلوب الأمثل في التعامل مع الغير.

ويكون غير المسلمين مدعوين من جهتهم إلى الإيمان بأن التسامح والتعايش لا يصنعه طرف واحد، ولا يمكن أن يتحمل طرف واحد مسؤولية الإخلال به دون غيره، فلا يصح أن يظل مفهوم «اللاتعايش» مقترنا بشخصية الإسلام وبوجود المسلمين، بل إن على الآخر أن يقف موقف مراجعة الذات وضبط لكل التصرفات التي أسهمت في إحداث التوتر.

فيجب على الآخر أن يعلم أن المجتمعات الإسلامية لا زالت تعاني من آثار مرحلة الاستعمار التي خلفت جراحات عميقة في الوجدان الإسلامي وأحدثت اختلالات ثقافية وسياسية واجتماعية عديدة، وهي اختلالات مست الهوية الثقافية للأمة، كما أوهنت قوة الانتماء السياسي والفكري لبعض أفرادها، وأفرزت حالات التشرذم الخارجي والداخلي.

وعلى غير المسلمين أن يعيدوا النظر في مشاريعهم الاستقطابية التي يستهدفون بها عقيدة المسلمين ويسعون بها إلى تحويلهم إلى عقيدة أخرى، فيبذلون لذلك الجهد الكبير والمال الوفير، ويخترقون النسيج الاجتماعي للأمة، ويركزون على كل مناطق الضعف وبؤر الفقر والجهل ليجعلوا من ذوي الحاجة طلائع بشرية لتنفيذ طموحاتهم ومشاريعهم.

وإذا قيل إن المسلمين هم أيضا ينشطون داخل البلاد غير الإسلامية بما يؤسسون من مساجد ويلقون فيها من خطب ودروس، فإن هذا يرد عليه بأن هذا النشاط يستهدف أساسا الإبقاء على هوية المجموعة الإسلامية وحمايتها من الذوبان والانسحاق ضمن محيط ثقافي مغاير، والقائمون على هذا النشاط ليسوا في الغالب مؤهلين لإقناع الآخر بالتحول عن عقيدته لافتقار أكثرهم إلى اللغة الجيدة التي تحقق التواصل الفكري، ولافتقادهم أيضا إلى المعرفة الضرورية بالأديان الأخرى وبعقائدها التي يمكن أن تكون منطلقا

وموضوعا للنقاش والحوار.

فإذا زار غير المسلمين مسجدا أو مركزا إسلاميا، فإنه يزوره مدفوعا بحب الاستطلاع أو بالرغبة في تلبية حاجة روحية لم يجدها في محيطه القريب.

وفي جميع الحالات، فإن المسلمين ليست لهم مؤسسات للأسلمة كما أن للنصارى مؤسسات كبيرة وأجهزة ضخمة وأرصدة مالية هائلة لتنصير الآخرين الذين يرون فيهم أنهم مرتدون عن المسيحية.

إن الذي يعوق لحد الآن تحقق أي تعايش حضاري أو تعاون حقيقي بين الأديان هو أن الغربيين لم يستطيعوا أن يمنعوا المغامرين من مثقفيهم وصحافييهم وسياسييهم وفنانيهم من العبث بقداسة الأديان، ولم يستطيعوا أن يقنعوهم بأن احترام الثقافات هو جزء من حقيقة الحرية المتبصرة المتحضرة، وأن الحرية لم تكن أبدا إلا مقيدة بألا تؤدي إلى الإساءة إلى الآخرين.وأن ذلك الاحترام هو الشرط الأساس للتعايش والتساكن.

وقد كان يسع الغربيين أن يدرجوا احترام الثقافات والأديان ضمن خانة مجموعة الممنوعات التي أصبحت القوانين الغربية تجرم المساس بها على اعتبار أنها جزء من الذهنية الجمعية. لأن مكانة الإسلام في نفوس المسلمين هي الجزء الأهم من مكونات الذهنية الجمعية لأمة كبيرة هي الأمة الإسلامية.

والمطلوب أن يعي الذين يضيقون ذرعا بوجود الإسلام في ديارهم ويسعون إلى إضعاف انتماء المسلمين إلى الدين أن ذلك خطأ كبير وهو لا يفيد في ضبط السلوك وفي تثبيت روح التعايش بين الناس.

إن على الرافضين للوجود الديني الإسلامي أن يعوا جيدا أن من مصلحتهم أن يكون المسلمون مرتبطين بالدين، لأن الدين هو بالنسبة للإنسان عموما وبالنسبة للإنسان المسلم خصوصا هو أهم مصدر ورافد للأخلاق وهو أهم حافز على التمسك والالتزام بها.

مع الإشارة إلى أن الالتزام بالإسلام يتميز بأنه يستبطن رؤية إنسانية شمولية إذ يعتبر الإسلام أن دفاع المومنين عن الإيمان هو بالضرورة دفاع عن كل الأديان في مواجهة اللاتدين، يقول الله تعالى : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ (الحج:٤٠)، والوعي بهذه الحقيقة يوجب تحالف الأديان ودفاعها عن الإيمان وحمايتها للأخلاق المرتبطة به.

ويحسن أن نذكر هنا بقول فِيخْتَه 1814 (fichte) وهو من رجال الغرب: إن الإيمان بالله هو إيمان بالواجب، كما يحسن أن نذكرهم بما كان كانط يستدل به على جدوى الإيمان الذي كان يراه ضرورة مجتمعية تحقق الانسجام الاجتماعي وكان يسمي تلك الضرورة الدليل العملي.

إن على الذين يتعاملون مع الوجود الإسلامي على أنه وافد غريب عن الساحة الأوربية يجب تقليصه والحد من حركته ونشاطه أن يتأكدوا أنهم يخطئون في حق مواطنيهم، حينما يعاملونهم معاملة تمييزية على أساس الدين والعقيدة، لأن هؤلاء المواطنين هم مكون بشري أساس من مكونات المجتمع بأوربا، وهم يحسون بالانتماء إلى أوربا التي يعتبرونها وطنهم الذي يشتركون ضمنه مع ثقافات كثيرة ضمن تشكيلة التعدد الثقافي الذي وسم المجتمع الأوربي.

وإذا صح لدى هؤلاء أن الإسلام وافد غريب عن البيئة الأوربية، فإن المسيحية هي أيضا ليست أوربية المنشأ، وإنما نشأت في المنطقة الشرقية التي نشأ فيها الإسلام.

وتمسك الرافضين لوجود الإسلام يهدر ولا شك كل قيم الحرية الدينية وكل المفاهيم التي مكنت الأوربيين من موقع زعامة نشر قيم الحداثة والعولمة.

وقد يكون من أهم عوامل إزالة التوتر بين الأديان والثقافات أن يترك لكل ثقافة صياغة قيمها الاجتماعية ومعاييرها الأخلاقية، وأن يكف البعض عن ادعاء التفرد بالقدرة على إنتاج القيم وتسويقها والمقايضة عليها وإلزام الآخرين بها، لأن القيمة الأخلاقية في كل ثقافة لا تنفصل عن الرؤية الكونية وعن الفلسفة العامة للأفراد وللثقافات، وسيكون ذلك الاحترام للخصوصيات الثقافية أبرز مظهر للإيمان بالديمقراطية الشاملة.

وأخيرا فإن على غير المسلمين أن يتأكدوا بأن التوتر الذي يقع في العالم حاليا ليست له دواع دينية، لأنه أثر مباشر لممارسات سياسية نفذت على شعوب أخرى فكان من تداعياتها تنامي موجات العنف.

unarguably on other cultures, because the moral values in each culture are never dissociated from the worldview and the general philosophy of individuals and cultures. Then only then will respect of cultural specificities be the most salient feature of comprehensive democracy.

Finally, non-Muslims should be assured of the fact that tension which is currently prevalent in the world is not religiously motivated at all, but is the product of political practices exerted on oppressed people.

It is significant in this respect to quote Fichte (1814), a very influential Western figure, who contended that believing in God is believing in duty. Similarly, Kant attested highly to the importance of faith viewing it as an urgent social necessity which maintains social harmony. Kant called this necessity: the pragmatic evidence.

Those who treat Islamic religion in Europe as an aberration that should be curbed are doing their citizens injustice, because they discriminate against them on a religious basis. Such citizens are human constituents of the European society. They feel that Europe is their homeland, within which they share many cultural constructs with other neighbouring cultures.

If Islam is truly foreign to the European environment, this holds also true for Christianity itself which is not European in origin, but emerged in the Eastern part of the world where Islam grew and flourished.

The insistence of some non-Muslims on undermining the existence of Islam puts an end to all values of freedom of religion and destroys all noble concepts which enabled Europeans to take the lead in spreading the values of modernism and globalization. Non-Muslims need to end this conflict between religions and cultures by giving each culture the opportunity to shape its own social and moral values. Additionally, some non-Muslims should refrain from monopolizing the production of values which are imposed

of belongingness to their religion, should bear in mind that they make a big mistake which does not serve the control of human behaviour and the establishment of co-existence among people.

Those who reject the existence of Islam should know that it is to their benefit to see Muslims clinging dearly to their faith, because religion for the human being in general and the Muslim in particular is the most important source of moral values. Islam is characterized by its comprehensive human vision, as it considers that the believers' defence of their faith against atheism is a defence of the faiths of all religions world-wide. Allah the Almighty says:

(…) Did not Allah
Check one set of people
By Means of another
There would surely have been
Pulled down monasteries, churches
Synagogues, and mosques, in which
The name of Allah is commemorated
In abundant measure.

(Al-Hajj, 22: 40)

Full awareness of this truth requires the alliance of all religions to fight for the existence of faith and the protection of its moral values.

of other religions which lay the ground for fruitful debates and mutual understanding.

If a non-Muslim happens to visit a mosque or an Islamic centre, he is surely driven by the curious desire for exploration or for answering a spiritual need he lacks in his immediate surrounding.

In all cases, Muslims do not have institutions of Islamizing people as is the case for Christians who have gigantic institutions, sophisticated equipments, and huge amounts of money to evangelize people, especially those who may be felt to leave their Christianity behind.

What has so far hindered civilizational co-existence and real mutual cooperation among religions is the failure of the Westerners to prevent their adventurous intellectuals, journalists, politicians and artists from messing around with the sacredness of religions. They even fail to persuade them that the respect of culture is part of the essence of insightful and civilized freedom, and a fundamental prerequisite for co-existence.

The Westerners could have included the respect of cultures and religions in the list of the prohibited issues sanctioned by the Western law, since this is part of the collective mentality.

Those who feel annoyed at the existence of Islam in their societies, trying hard to weaken the Muslim's sense

put the finger on the real practices which contributed to the emergence of conflicts.

It is incumbent upon the other to know that Islamic societies are still suffering bitterly from the disastrous effects of colonization on Islam which embody many cultural, political and social disorders. The latter touched the cultural identity of the Islamic community, weakened the strength of political and intellectual belongingness of some of their individuals, and paved the way for internal and external discords.

Non-Muslims should reconsider their malevolent projects which aim at converting Muslims to other religions. They spend much energy and money to infiltrate the Islamic society, especially into regions of widespread poverty and ignorance which are easily manipulated.

But, some people may claim that Muslims are also very active in the non-Muslim foreign countries. They build mosques where they deliver preaching regularly. In response, we should say that such Muslim activities are needful, in that they protect the identity of the Islamic group from complete fusion in a totally different cultural background. Above all, those Muslim activists are generally inapt to persuade others to convert to another religion, for most of them lack quite often the efficient method of address which guarantees an intellectual dialogue. They additionally lack the necessary knowledge about the creeds

palaces and gardens, the remaining parts of which could in no way give us a clear idea of their numbers.

The effect of such dramatic destruction was tremendously disastrous on the scientific heritage, among which we mention precious books, medical and astronomical products, etc.

The difference between the Islamic civilization and other civilizations lies in the fact that the conduct of the Muslim is regulated by the dictations of the religious legal texts and the jurisprudent rules that prevent him from depriving non-Muslims of their own rights. By contrast, non-Muslims found strong support for their bitter hostility against Muslims in their institutions, especially the religious institution which issued a great deal of adjudications condemning them unjustifiably.

When Muslims strive to establish a tolerant culture which paves the way for co-existence and cooperation, they are required to go back to the fundamentals of the Islamic culture which show them the ideal way of treating non-Muslims. Non-Muslims, in their turn, are called upon to believe in the fact that tolerance and co-existence are by no means a one-side production; it is thus unacceptable to hold one party responsible for their absence in detriment of another. Nor, is it acceptable to link the concept of intolerance with the personality of Islam and Muslims. Instead, non-Muslims should revise their stances trying to

tolerance in a global surrounding which denied its values in its entirety.

Additionally, the value of tolerance in Islam could only be grasped when seriously evaluating the conditions of other cultures which defeated some regions under the Muslims` reign during some periods of history. Strangely enough, these cultures focused primarily on religious intolerance, ethnic cleansing and civilizational obliteration. They rejected co-existence with those who refused to embrace their beliefs. Let alone observe their due rights! Worse, they tried hard to obliterate any physical or scientific trace bearing witness to the intellectual and artistic levels which the Islamic civilization achieved during its time of glory.

As a result of this culture of intolerance, Muslims found themselves between Scylla and Charybdis: they either changed their religion, evacuated aimlessly their homelands or faced immediate extermination. It was really an era of unprecedented bloodshed that has up till now been manifested in portrays, protected statues in museums and public spheres. Generally, cultural institutions are strong witnesses of mainstream culture which people believed in during a period of time.

Because of the spirit of stark fanaticism and intolerance, the world has lost a great human legacy of art and science due to the destruction of many mosques, schools, libraries,

Towards a Cooperative Establishment of the Civilizational Tolerance Project

So far we have examined the reality of Islamic civilization in miniature and realized how it promotes the values of tolerance and recognizes the other by legally and socially preserving his materialistic and moral rights.

This reality drawn from many texts of the Holy Qur'an and the Sunnah, from the acts of the Prophet (PBUH) and his Companions (May Allah be pleased with them), and from the sayings of Muslim scholars and the achievements of civilization, proves that tolerance in Islam is not only an ambitious theoretical project, but a pragmatic message that was verily materialized in Islamic history as well. Tolerance for Muslims is a cultural and a social system verified diligently in the treatment of non-Muslims.

Tolerance in Islam could only be apprehended in full depth when put into its historical context. During that time, no debate over tolerance was ever held, nor did any call for the rights of others to enjoy their religious freedom or to lead their own way of life take place.

From this standpoint, therefore, the Islamic civilization should not be viewed as a mere civilization which wishfully believes in tolerance and co-existence. Instead, it should be viewed as that civilization characterized uniquely by

in, day out. They are part and parcel of the West; that is why we should get close to them and give them support by highlighting the scientific and civilizational values of their works to make sure they will be great advocates of Western openness to Islam.

Islamic values through her serious studies and her two years residence in Marrakech. Anna Mary Shimla invested similar scientific efforts to identify Islam; that is why both researchers endured all sorts of harassment to the extent that a fanatic group tried to strip 'Anna Mary Shimla of her right to the German Book Prize in 1995.Also, defending strongly the Islamic values, Montgomery demonstrated in his writings how Islam served Western civilization devotedly. Gorafsky compared between Islam and Christianity, making impartial statements about the former religion.

By and large, Islamic culture has a great many thinkers who uphold it in the Western countries. Therefore, it could have been possible to create a new trend in these countries, if special attention had been paid to these proponents.

If the Muslim observes that some individuals and intellectual classes from the West stand against Islam and the interests of Muslims, he should dutifully not turn a blind eye to other activists who sympathize with their just causes and face the enemies of Islam in their countries. Among such thinkers we mention Noam Chomsky whose name has so often been linked to the defence of Arabs and linguistic studies. We can also mention Jack Kelley, the author who received 300 letters of denunciation for refusing to accuse Muslims of terrorism, Paul Findley, Robert Fisk and Julio Caesar who wrote: 'Do we have to fear Islam?'

The number of these researchers is increasing day

of civilizations, we should not deny the very obvious fact that there are other Western persons and associations that hold very positive attitudes about Islam and Muslims. Some Western men and women have done Islam incredible justice by correcting the old inherited false image about this religion.

Our main problem lies in paying less attention to those who have done Islam justice and supported its causes than its opponents, which helped the latter to spread their falsehoods easily.

If the researcher digs deeply into the literature of Western thought, he will come across very nice sayings about Islam. For example, Goethe painted a positive image of Islam into the Western mentality. He praised Islam so enormously that the group of 'Weimer' announced that Goethe was a Muslim for he read the Qur'an regularly and performed once the Friday Prayer in 1814 together with some Muslim Russian soldiers. Among his famous sayings is that if Islam means surrendering our fate to God, we should then live up to Islam and die for it. Similarly, Victor Hugo, Tolstoy, and Bernard Shaw voiced admiration for Islam that contributed fascinatingly to positively introducing Islam to the West.

There are many other researchers who worked with dedication to destroy the Western false image of Islam. For example, Sigrid Hanukkah made much effort to highlight

The image of violence which had a very brief history in the life of Muslims is not the one to reflect the true Islamic orientation. Similarly, it is objectively inadmissible to ignore the long Islamic history of tolerance towards its opponents embodied in the co-existence of Muslims and people belonging to other religions and the key political and social positions which non-Muslims held under the reign of the Islamic state.

Once again, Muslims gave the true impression about the human orientation of their religion when they have recently contributed to the liberation of Europe from the grasp of Nazism and Fascism and to the achievement of an economic and architectural renaissance in Europe.

Most existing conflicts today are politically motivated. They normally originated in the era of colonization, during which colonizers committed all sorts of oppression and tyranny that harmed subsequently the world relations. Such conflicts were also ascribed to some cultural reasons developed as a result of mistaken instruction and weak communication.

On the other hand, the Muslim should know that the West does not hold one homogeneous structure of thought; rather, it is a multi-pot of various ideas and different trends. True, if there exist some westerners who cannot free themselves from the negative stereotypical image of Islam, and never stop promulgating the ideology of clash

In religion: Truth stands out
Clear from Error: whoever
Rejects Evil and believes
In Allah hath grasped
The most trustworthy
Handhold, that never breaks.

(Al Baqarah, 2: 256)

When the People of Islam spread Da'awa, they are ready to endure all sorts of harms one can imagine for the sake of spreading good and virtue among the people they invite to Islam. Such Islamic sympathy and mercy are obviously clear in the conduct of the Prophet (PBUH) when he apologized to Allah the Almighty for the ignorance and disbelief of his people saying: 'O my Lord, guide my people along the true path, as they are ignorant of the truth!'

When addressing the People of the Book or atheists, it behoves the Muslim to present Islam in a positive way which is likely to enlighten them as to the tone message of Islam because Islamophobia is no more than an illusionary feeling which has been intentionally invoked by opponents of Islam who excelled at exploiting irresponsible mistakes made by so-called Muslims in exceptionally equivocal circumstances. The same mistakes were made by followers of all existing religions, yet their religions have never been object to bitter condemnation.

The Nature of Dialogue with Atheists

When the Muslim addresses an atheist, he should explain to him that Islam treats all human-beings on the basis of distinction and honour conferred by Allah on them as the following verse demonstrates:

We have honoured the sons
Of Adam; provided them
With transport on land and sea;
Given them for sustenance things
Good and pure; and conferred
On them special favours,
Above a great part
Of Our creation. (Al Isra', 17:70)

The Muslim should also clarify to the atheist that all people have the right of livelihood regardless of their disbelief in God the Almighty.

Islam treats its opponents only as subjects that need to be convinced about the Islamic *Da'awa* (i.e., the message of Islam). Yet, they have the right to make their own choices freely without being forced to embrace a faith they dislike. Allah says in this connection:

Let there be no compulsion

Morally speaking, extensive cooperation should be maintained between Muslims and people of other religions so that they defend the moral values at stake and stand firmly against all disorders threatening the existence of human beings and their future. Among these disorders, we can mention abortion, the destruction of the nuclear family, and the abolishment of the human-being by misusing the functions of his genes and turning them into goods to be exposed into world markets.

Finally, Muslims and people of other religions can join effort to fight against brutality as expressed in oppression, suppression and land usurpation.

mathematical codes.[1]

Muslim thinkers drew on what Kant called the *practical reason* to persuade people of the utility of faith[2]. They also adopted Kant's idea that the attribute of God's existence is subjective[3], a view which is similar to the meaning of psychological attribute held by Muslims. Furthermore, contemporary Muslim writers quoted repeatedly Alexis Carrel's ideas which generally focus on demonstrating the wisdom of God the Almighty behind the creation of human beings[4].

On the other hand, it is certain that scholars of other religions benefited greatly from the researches of Muslim thinkers and scholars, especially in areas of research aiming at proving the existence of God the Almighty. Muslims wrote many books which tackled the issue of Monotheism proofs. Importantly enough, some of these books contain more than twenty five proofs, all of which rest on an intellectually deep analysis. Additionally, scholars of other religions benefited from Muslims' serious debates on creeds and theologies (*'ilm al-Kalam*).

1- Sabri, Mustapha (2000). 'Mawqif al-aql wa al-Ilm min Rab al-Alamin wa 'Ibadihi al-Mursalin.' Vol. 212/2, In Karim Muna (ed.). *al-Falsafah al-Hadithay*. Dar al-Kitab al-Jadid: Beirut.

- Karim, Muna (2000). *Al-Falsfah al-Hadithah.* Dar al-Kitab al-Jadid. P. 73

2- Durant, Will (1991). *Qissat al-Falsafah.* Dar al-Ma'arif: Beirut.

3- Karim, Muna (2000). *Al-Falsfah al-Hadithah: 'Ard Naqdi.* Dar al-Kitab al-Jadid. P. 73

4- Carrel, Alexis (1935). (*Man the Unknown*)/*Al- Insan Thalika al-Majhul*. Translated by Shafiq As'ad. Muassasat al-Ma'arif.

Zones of Contact and Cooperation for Followers of Religions

In order to dispel the bad image of Islam planted in the memories of believers of other religions, Muslims should readily found a project aiming at creating constructive cooperation which serves their common interests. The cooperation envisaged here can be scientific and moral:

Scientifically speaking, cooperation is needed so as to face atheism and promote the central role of religion in the life of human beings, so that moral values get established in societies world-wide.

For this to happen, it is possible to benefit from rational evidences so as to persuade atheists to believe in God the Almighty. Relevantly, it is highly recommended to exchange the very useful psychological and social studies. It is worth mentioning in this respect that Muslims never hesitated to make use of the results of pertinent researches. Following the reasoning of Bregstein, contemporary Muslim thinkers emphasized that faith is innate on the grounds that no human society has ever been devoid of spaces of worship. Cotemporary Muslim thinkers kept on quoting Descartes who viewed that God is the source of knowledge and existence and that God's existence is undoubtedly more absolute than the geometrical assumptions and the

Prophet (PBUH) said. In his valuable research presented in The International Conference of Religions held in Lahore in 1957, Abdullah Darraz likened Islam during every single stage of its developing revelation to three doctors, one of whom paid a visit to a child during its initial stage prescribing to it food that is restricted to milk. By contrast, the second doctor examined the child in its second stage and prescribed to it starchy food. The third doctor examined the child in its subsequent stage allowing it finally to have all sorts of food[(1)]. Although Islam reached its ripe stage, it does not deny the continuity of revelation.

What Islam levelled at the followers of religions does not depart very much from the higher criticism of proponents of religious reformers in both Judaism and Islam, or proponents of Christian Protestant and Calvinistic reformations in Christianity. All attempts of religious reformation confirm the fact introduced by the Qur'an for long that religions were prone to serious distortions.

1- Darraz, Muhammad Abdullah (1995). *Bahth Mawqif Al-Islam min Al-ddiyanat Al-Ukhra wa 'Alaqatuhu biha.* In Muhammad Rajab Al-Bayyoumi (ed.), *Al-NNahda Al-Islamiyah fi Sayr A'alamiha Al-Mu'asirin.* Beirut: Dar Al-Qalam. Vol. 2, p. 246.

differ with it religiously and dogmatically.

When Islam introduces itself to people, it takes religious dialogue as its obligatory point of departure. It does not spread its message through financial temptation or through fake promises to help poor nations join the affluent societies. This is due to the fact that if it centres its interest on poverty and the ignorance of people whom it wants to invite to Islam, it will not give them the fair chance of dialogue and equal opportunity of argument. In this case, economical conditions will be the determining factors of choosing the religion presented to non-Muslims without having recourse to their free will. Muslims comprehended this non-approved behaviour through the Prophet's wise conduct that refused to invite people to Islam lacking in trusting sane intellect.

Muslims should clarify that revelation reached Muslims through different periods of time. For each period, there was a kind of revelation proper to people's level of apprehension and to the moral needs of societies. Then and only then did Islam come as the final and all-inclusive religious version which responded favourably to the intellectual situation that human beings reached after each period. Throughout history, Islam was the divine revealed religion. The Prophets were like brothers with different families and mothers but a similar religion[1], as the

1- *Sahih Al-Bukhari, The Book of the Stories of the Prophets. , Al Musnad, Vol.3, p. 406. , Muslim, The Book of Merits.*

Third, The Qur'an allows Muslims to marry women from the People of the Book bearing in mind that such marriage leads to kinship relations which therefore make of the People of the Books grandfathers of the Muslim spouse and uncles and aunts of Muslims.

Fourth, early Muslims sympathized emotionally with the causes of the People of the Book. They expressed their anguish and agony at their military defeats. They got sad when the Christian Romans were defeated by the Persians, the worshippers of fire. But, Allah promised the Muslims of the Roman manifest victory over Persians in few years' time. Allah said:

Alif lam Mim
The Roman Empire
Has been defeated –
In a land close by:
But they, (even) after
(This) defeat of theirs,
Will soon be victorious –

(Al Rum, 30: 1-4)

The chief aim of Islam is to impart its message. In so doing, it strives to get the same opportunity of communicative interaction as other religions when their followers introduced them to the people. In all cases, Islam does not, in the least, endeavour to eradicate those who

crimes, Neo-Nazists, as well as some soldiers who were involved in horrid crimes. It is common to see in societies, which accuse others of brutality, excessive acts of violence in football stadiums culminating in bloodshed confrontations and aggressive attacks on people's properties.

When we want to set dialogue with the followers of other religions, we need to believe in the necessity of helping them overcome all sorts of intellectual and psychological obstacles that prevent them from opening up to Islam and understanding its truth. To achieve this pursuit, they need to be acquainted with the following principles of Islam:

First, following the teachings of the Qur'an, the Muslims pay absolute respect to all previous Prophets. They know exactly the amount of hardship they endured for the sake of guiding people to the right path. They believe in the divine protection of Prophets and reject any idea which intends mischievously to belittle their holy positions.

Second, the Holy Qur'an contains a Sura (i.e., a chapter) titled Mary (Maryam) which is meant to praise her purity, bearing in mind that the Holy Qur`an does not include any Sura under the name Khadija or 'Aisha, the wives of the Prophet (PBUH), or his daughter Fatima. More than that, there is another Sura having the name of Mary's family *'Ali Imran'* as a token of respect and praise for her chastity.

Smearing the image of Islam developed very rapidly ever since. Edward Said mentions that from 1800 to 1959, for example, the West produced more than 60.000 works which spoil overtly the image of the East, especially the image of Islam.[1] Such dreadful facts testify to the existing cultural barriers which prevent others from making attempts to understand Islam.

The West is still suffering from the feeling of superiority complex, thinking that it is the centre of the world. Such feeling held deep into its heart when reading the philosophy of Aristotle, Hegel, and Renan and those emphasizing the Western specificity. Western superiority complex reached its apogee with the emergence of Nazism.

In addition to this tarnished image of Islam and Muslims, one gets really shocked to hear the false accusation that Islam is a religion of terrorism and that Muslims are terrorists in make and culture. People holding such groundless view have completely failed to recognize that terrorism was not born yesterday. In fact, it is a historical deviation which has neither a nation nor a religion. Abhorrently, terrorism was practiced by Groups of Death which complotted the assassination of presidents and engaged in the condemned Oklahoma deadly events. Similarly, terrorism was apparently observed in the acts of violence carried out by separatists, groups of organized

---

1- Said, Edward (2001). *Al-Istishraq, Al-Ma'rifah and Sultatu al-Insha.* Translated by Kamal Abu Dib. Beirut: Muassassat Al-Abhath Al-Arabiyah.

The Project of Future Relationship with Non-Muslims

There are two categories of people who differ markedly from Muslims. One such category is that of the Jews, Christians and other religious people who are subject to the same Islamic rules as the *Dhimmis*[(1)]. The second category involves people who do not believe in any religion at all. The Muslim, however, should open up dialogues with all these people and take account of their religious and cultural backgrounds.

When the Muslim discusses religious issues with non-Muslims, he ought to make use of facts which aim at correcting biased conceptions of Islam. Understandably, he should bear in mind that most of non-Muslims have fallen prey of some groundless prejudices against Islam keeping them epistemologically far away from it at all time without any reasonable justification.

Such negative prejudices against Islam may be ascribed primarily to the campaign adopted by Boutros Al-Mukrim who deliberately gave a distorted view of Islam. At first, he produced a distorted translation of the meanings of the Qur'an. In time, such stereotypical image against Islam has become so strong that a serious epistemological wall has been built up between this religion and other religions.

1- Imam Malik Ibn Anas, *al-Mwatta*, the Book of Alms (*Zakat*).

Hell-fire'. The caliph laughed at his answer.[1]

11. Ibn Al-Ibri mentions that Salmawayh was a big authority in medicine. When he got sick, Al-Mu'tassim paid him a visit and wept tears of pity for his deteriorating health conditions. When he died, Al-Mu'atassim abstained from eating during the whole day of bereavement. He then commanded that his funeral should be organized in accordance with the Christian traditions.

12. A number of non-Muslim doctors used to meet at the palace of Haroun Al-Rashid, among whom we cite Bakhtishu Ibn Georgis and the Christian Syriac, Yuhanna ibn-_Masawayh who were favourably elected by Al-Rashid to translate the ancient books of medicine. It is important to note, in this regard, that Al-Rashid used to organize regular intellectual study sessions (i.e., *Majlis al-'ilm*) which hundreds of students enthusiastically attended.

1- Ibn Al-Ibri (1958). *Mukhtassar Tarikh Al-Duwal*. Beirut: Al-Matba'a Al-Kathulikiyah. p. 124

and Spain, which did not happen before.'[1]

In Western Asia outside the geographical boundaries of the Arabian Peninsula, the Christians practiced their religious rituals freely to the extent that the majority of Syrians (People of Al-Sham) remained Christians until the third hijri century.[2] Historians also report that there were eleven thousand churches under the reign of Christians in the Islamic land, during the era of Al-Ma'amoun and a great number of synagogues and fire-temples.[3]

An ancient Christian Syriac historian called Gregorius and known as Ibn Al-'Ibri (1286) gave a full description of the favourable social conditions of Christians in the Islamic state using different examples.

10. When the Abbasid caliph, Abu Ja'afar Al-Mansur, fell sick, he needed a proficient doctor to cure him. He asked Georgis Bakhtishu to come for this pursuit. He cured him indeed! When the doctor got sick in his turn, the caliph commanded that he should immediately be escorted to the hospital (i.e., Dar Al'Ammah). The caliph kept visiting him to inquire about his health conditions telling him once: 'Fear Allah! Embrace Islam and I can guarantee you Paradise.' Bakhtishu responded: 'I hold on to the faith of my forefathers regardless of whether they enter Paradise or

1- Durant, Will (1964). *The Story of Civilization*. Vol. 13, p. 132. Translated by Muhammad Badran and others (2001). Cairo: Al-Hayah Al-Misriyah Al-'Ammah lilkitab.
2- Ibid
3- Ibid

strongly infidel more than *Bakhtanssir.*[1]

8. Another aspect of tolerance in Islam is reflected in the freedom of non-Muslims to practice their civil rights indiscriminately such as their right to occupy state positions of high ranks and to exercise activities within professional institutions. In this connection, Mitz says, 'Islamic jurisprudence does not forbid *Dhimmis* from entering any field of labour they choose, and they were well-established in trades which yield large profits; excelling as bankers, landlords, and doctors. Moreover, they managed to organize themselves, such that the most prominent bankers in the Levant (Syrian and Palestine) were Jews, whilst the best physicians and writers were Christians, and the chief of the Christian population in Baghdad was the caliph's personal doctor, as the caliph also gathered in his court the chiefs and heads of the Jewish population.' [2]

9. Additionally, Will Durant says, "At the time of the Umayyad caliphate, the People of the Covenant, Christians, Zoroastrians, Jews, and Sabians, all enjoyed a degree of tolerance that we do not find even today in Christian countries. They were free to practice the rituals of their religion and their churches and temples were preserved..." He also mentions that 'the Jews enjoyed unprecedented freedom to practice their religious rituals inside Jerusalem. They even managed to exercise much impact on Asia, Egypt

1- Mitz, Adam (1967). *The History of The Islamic Civilization.* Vol. 1, p. 89
2- Mitz, Adam (1967). *The History of The Islamic Civilization.* Vol. 1, p. 86

feasts like Palm Sunday, Easter, and the Holy Thursday and other religious occasions. More than that, the Christians would go on church demonstrations holding palm and olive branches and crosses.

6. Muslims allowed churches to turn into law courts for non-Muslims in which bishops and priests assumed the responsibility of judgeship and issued sentences like great Muslim judges did.[1] Provinçal says in this regard, 'it was a special judge of Christians or of non-Arabs who used to settle disputes among Arabists (i.e., *Dhimmis*)'.[2]

7. Islamic tolerance towards others was more significant than Christian sects` tolerance towards one another far and near. Adam Mitz says, 'The official church in the Eastern Roman state went too far in hostility to Christians who differed in thought with its scholars in comparison with Muslims' hostility to the People of the Covenant. When Niqfore, an Emperor, got Syria back in the 10th century (i.e., the fourth hijri century), he promised its inhabitants protection from the harassment of the Church of the state. Despite his promise of security and peace, he contrastively oppressed the Jacobians who forced them out of Antioch (i.e., Antakya); that is why Jacobian historians described patriarchs appointed by the state of Antioch as deceptively deviant more than Pharaoh himself, and as

1- Mitz, Adam (1967). *The History of The Islamic Civilization.* Vol. 1, p. 92
2- Provinçal, Levy, *Isbanya al-Islamiyah*. Translated by Abderraouf Al-Yamani (2002). Egypt: Higher Council of Education. Vol. 1, p. 192.

rights."[1]

3. Islamic tolerance was so unique that Al-Ma'moun issued a decree in favour of the People of the Covenant (*Dhimmis*) promising them the freedom of belief, the freedom of running their own churches, and the freedom of choosing their own patriarch even if their groups might consist of only ten members. But, the presidents of the churches ran riot forcing the Caliph to go back on his decision. [2]

4. Christians of Al-Nawbah took advantage of Muslims` tolerance when they succeeded in infiltrating the Islamic political system. They had a king within the Islamic territories that had representatives and workers collecting taxes for him. It happened that one of such Christians embraced Islam when the son of the King of Al-Nawbah was in a visit to Baghdad. He commanded that the Christian had to be put into jail and shackled in the centre of the Caliphate.[3]

5. What increased the Islamic level of tolerance towards non-Muslims is that Muslims did not prevent them from practicing their religious rituals and celebrating their

---

1- Provinçal, Levy, Provinçal, Levy, *Isbanya al-Islamiyah*. Translated by Abderraouf Al-Yamani (2002). Egypt: Higher Council of Education. Vol. 1, p. 192.
2- Mitz, Adam (1967). *The Islamic Civilization in the Fourth Century A. H.* (Translated by Muhammad Abdul Hadi Abu Rida). Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi. Vol. 1, p. 90
3- Ibid, Vol. 1, p. 80.

Europe has never known such tolerance before. Among its outcomes is the emergence of the Science of Religions` Comparison; that is, the study of religions and sects (*milal* and *nihal*) with strong enthusiasm." [1]

Scholars of Islamic civilization have unanimously agreed that tolerance has been a distinctive feature of Muslims within the Islamic environment. Freedom of belief, the right to take over key positions in the government, and the free practice of scientific, economic and social activities are but few aspects of Islamic tolerance.

1. Concerning Non-Muslims' freedom of religious profession in the Islamic society, historians mentioned that *Al-Jathliq* (i.e. the chief of the Nestorian Church) held a political position at the level of *Dar Al-Khilapha* (i.e., Caliphate administration). He was elected by the church, then by the Caliph who supportingly wrote a pact to this effect as he did with the senior appointees.[2]

2. Levy Provinçal says, "It seems that the Christian citizens were divided into groups within every single regional administration. The president (or *al-Qoms*) of each group was selected by its members and subsequently appointed by the central government. The latter could even appoint sometimes an advocate for the group to defend its

1- Mitz, Adam (1967). *The Islamic Civilization in the Fourth Century A.H.* (Translated by Muhammad Abdul Hadi Abu Rida). Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi. P.75

2- Mitz, Adam (1967). *The History of The Islamic Civilization.* Vol. 1, p. 76

Islam's positive Attitudes towards Others: a significant civilizational message

The positive attitude of Islam towards non-Muslims purports to establish common grounds of dialogue, tolerance and cooperation. Within this Islamic spirit of understanding and broadmindedness, Muslims treat non-Muslims graciously. Moral and material evidences which characterize the main traits of Islamic civilization can prove this civilized conduct of the Muslims clearly. By way of illustration, suffice it to introduce some historical samples in this respect.

Tolerance is one of the positive attitudes of Islam towards both Muslims and non-Muslims. It enables non-Muslims to lead a decent life and to freely use their skills and intellectual capacities, which gave birth to gigantic scientific and literary contributions and to fascinating architectural achievements. Islam benefited significantly from these achievements especially in the fields of natural sciences and human experiments. To this aim, I will examine some texts of ancient and modern non-Muslim scholars of civilization and history reflecting the civilizational facet of Islam's positive attitudes towards non-Muslims.

Adam Mitz says: "The co-existence of Christians and Muslims gave rise to the principles of tolerance which modern reformists advocated fervently. The Middle Ages

jurisprudents from the Maliki and the Hanbali doctrines and some of the Shafi'ites agree that a Muslim can enter the temples of non-Muslims whenever he wishes without any constraint whatsoever. Moreover, a Muslim spouse can enter the temples in case his Jewish or Christian wife is asked to take an oath (i.e., *Mula'anah*).[1]

The Malikit doctrine sees that the use of oaths of a wife from the People of the Book should take place in the temple which she glorifies most, so that the Jewish swears in the synagogue, the Christian in the church and the Magus in the fire-temple if she and her husband are willing to refer to Islamic judgeship.

1- Khalil Salih Abdessamii Al-Ubbi. *Jawahir Al-Iklil: Sharh Mokhtasar Khalil Salih Abdessamii Al-Ubbi.* 1/381. Egypt: Dar Al-Kutub Al-Arabiyah. (see also Ibn Qudamah. *Al-Mughni.* 10/569.)

Islamic jurisprudence looked deeply into issues regulating the foundations of temples in Muslims` lands and found that any such foundations could only be possible if non-Muslims are in need of them. Building unnecessary places of worship is absolutely inadmissible no matter the circumstances.

But, if Muslims happen to reside in an unoccupied land where churches or monasteries are prevalent, they must preserve them from any harm even if the majority of the inhabitants are Muslims. This is exactly what happened to the churches of Cairo which Muslims managed to preserve by surrounding them with walls adopting a fascinating Islamic architecture in the heart of the Muslims` land.

Among the Islamic rules which regulate the existence of churches in the Muslims` land, we mention the Imam's (the Commander of the Faithful) recommendation (i.e., *Mustahab*) to ask non-Muslims to build up houses inside the churches for Muslim guests as did 'Umar with Syrians (People of Al-Sham). He asked them to receive Muslims into churches either at night or during the day and to leave their doors open to the public. Such an idea can open up a constructive dialogue between religions and extensive debates over religious creeds, which so often lead to people's strong belief in the Islamic creed.

11. In connection with the Islamic rules regulating the attendance of churches, the majority of the Muslim

Indeed guard them
As one that knows
(Their importance) (Yusuf, 12: 55).

Muslims have significantly learned from this verse the fact that they are entitled to work for non-Muslims so long as the latter do not force them to do injustice or engage in manifest corruption.(1)

-On the Freedom of religiousness

10. One of the magnanimous examples which characterize the Islamic civilization in the treatment of non-Muslims (e.g., Jews, Christians and Magi) is manifest in its full responsibility to protect their temples and monasteries from destruction as is agreed upon in many pacts like *Al-'uhdah Al-Umaria* (i.e., the Pact of 'Umar). 'Umar wrote to the people of Al-Quds, saying "This is the security given by the servant of Allah, 'Umar, Commander of the Faithful to the people of Ilya' (i.e., Bait al-Maqdis): they are guaranteed the security of their lives, their possessions, their churches, their crucifixes, and every one within, whether sick or healthy as everyone in their religious community. No Muslims shall be quartered in their churches, destroy or diminish their area or space, or the crucifix of their churches or any of their property."(2)

1- Al-Qurtubi, *Tafssir Al-Qurtubi,* 4/2444. Egypt: Dar Al-Kitab Al-Arabi.
2- Abu Jaa›far Al-Tabari. *Tarikh Al-Umam wa Al-Muluk.* Vol. 3/609, authenticated by Abu Al-Fadle Ibrahim. Beirut: Dar Suwaydan.

People who reside in non-Muslim countries should not imagine the money and property of non-Muslims as booty; otherwise, they are qualified as horribly ignorant of the Islamic rules and regulations, since Muslims cannot take booty from non-Muslims during periods of peace and agreements. Booty can be categorized under the rules of Imamate (i.e., *ahkam al-imamah*), hence no one is allowed to deal with it according to his own understanding; or else, he is accused of pillaging and looting.

Jurisprudence reiterates that non-Muslims and Muslims should be treated on the same footing regarding their money and properties which are to be highly protected. Jurisprudents permit Muslims to engage with non-Muslims in businesses which harmoniously comply with the Islamic stipulations. Similarly, they tolerate hiring a person as the Prophet (PBUH) did with Amir Ben Fuhayrah who indicated to him the way to hegira (*Al-Hijrah)*. More tolerantly, a Muslim can hire himself to work for non-Muslims and to do whatever job so long as it does not contradict with Islamic rules and regulations. Supportingly, the Qur'an mentioned that the prophet Yusuf (i.e., Joseph) (peace be upon him) asked the king of Egypt to put him in charge of the granaries and storehouses as is stated in the following verse:

(Joseph) said: "Set me
Over the storehouses
Of the land: I will

property of a *dhimmi* is equal to that of a Muslim. Therefore, a *dhimm's* life would, by analogy, be as inviolable as a Muslim's life as property derives its inviolability from the inviolability of its owner`.[1]

Muhammad Ibn Al-Hassan devoted a chapter to this subject in his book ***Al-Siyar Al-Kabir***. He said: ''Don't wrong a contracting man (*dhimmi)*; or else, you are pillaging his property and threatening his existence``.

He further mentioned that on the day of *Khaybar* (after the expiration of treaties), some Jewish people came to the Prophet (PBUH) to lodge a complaint against his Companions. They said in protest: 'Oh Prophet! Your companions took hold of our barns taking vegetables and garlic from them.' The Prophet (PBUH) ordered Abdu Arrahman Ibn Awf (may Allah be pleased with him) to tell people: "Covenants' properties are forbidden for Muslims except by law."[2]

The treaty which the Prophet (PBUH) referred to here involves all persons that have peaceful relations with Muslims, be they individuals or nations.

Presently, treaties can have effect when Muslims apply for a visa to enter a country taking upon themselves to adhere to its regulations: respect of properties and all civil rights of the persons they intend to live with.

1- Al-Qurtubi (1967). *Al-Jami' li-Ahkam Al-Qur'an*. Dar Al-Kutub Al-Misriyah (3). 2/246.

2- Muhammad Abu Al-Hassan. *Al-Siyar Al-Kabir.* 1/95.

9. Islam allows Muslims to visit non-Muslims in their temples if this is laid down in the terms of an agreement set between the two parties. But, it is recommended that Muslims should visit non-Muslims across cities and the countryside, although this is not one of the stipulations of the agreement, in that Islam calls on Muslims to visit people and spend up to three nights with them in their houses. Conversely, the visit of non-Muslims to Muslims is regulated by the conditions and terms included in the agreement. In this connection, Ahmed was asked if it is permissible for a Muslim to visit non-Muslims. He replied that it is possible: 'Inviting non-Muslims serves the meaning of a voluntary charity to an infidel.'(1)

- On the financial Rights of Non-Muslims

When Muslims conclude treaties of security and peace with others, they primarily take into account the protection of their money and properties. No one has the right to touch them without legal means of moneymaking. Money and properties of both Muslims and non-Muslims are sacredly protected on the basis of no discrimination.

Al-Qurtubi says: 'A *dhimmis'* life is perpetually inviolable and so is a Muslim's life, and both have become people of the House of Islam, since both have become part of the abode of Islam. This fact demonstrates that the

1- Ibn Qayyim Al-Juziyah (1981). *Ahkam ahlu Al-Dimmah*. Dar Al'ilm lilmalayin. Vol. 1/783

righteousness and goodness on the grounds that the captives who needed to be fed were not Muslims. In this connection, Abu ‘Ubayd **narrates** that ‘Umar Ibn Maymoun and ‘Umar Ibn Shurahbil and Murrah Al-Hamadani used to give *Al-Fitr* charity/alms to the monks. Abu ‘Ubayd justified their act by the fact that these people viewed *Al-Fitr* charity and the properties charity (Zakat[1] Al-Amwal) differently.[2]

8. Among the stellar examples showing the Muslims’ **good conduct towards** non-Muslims **are** the tolerance prospects of Islamic jurisprudence, as **they give** *waqf* endowment to poor Christians and Jews, including persons lodged at churches or synagogues from passers-by and wayfarers.

Ibn Qudamah, a Hanbali scholar, **says**: “it is lawful to give *waqf* endowment to people of Dhimmah, since they can invest it decently. It is valid to give them charity and *waqf* endowment like Muslims. It **was** narrated that the wife of the Prophet, Saphia Bint Yahaya, **gave** a *waqf* endowment to her Jewish brother. Therefore, any person unto whom charity by a Dhimmi is lawful shall be as lawful as *waqf* endowment to a Muslim by a Muslim, even if these were persons lodged at churches or synagogues from **passers-by** and wayfarers, since *waqf* endowment **was** directed to them not to the place *per se*.”[3]

1- Zakat means almsgiving which is a compulsory charity in Islam.
2- Abu ‹Ubayd, *Al-Amwal*. 206.
3- Ibn Qutadah, *Al-Mughni*. 6/207

the Almighty has destined death among His worshippers. May Allah rest his soul as one of His best worshippers!" "To Allah we belong, and to Him is our return". "Be armed with patience!" "May Allah increase your offspring!" On the other hand, Mansor Ibn Ibrahim further said: 'If you want to express your sympathetic grief upon the death of someone to a man from the People of the Book, say: 'May Allah increase your money and children and extend your life. 'Nothing befalls you except good'.[1]

7. Islamic jurisprudence also offers an unprecedented example of human solidarity when it encourages Muslims to give charity to poor non-Muslims as the Prophet (PBUH) did with the Jews. To justify this, jurisprudence refers to the following Qur'anic verse:

And they feed, for the love
Of Allah, the indigent,
The orphan, and the captive –
(Saying), "We feed you
For the sake of Allah alone:
No reward do we desire
From you, nor thanks. (Al Insan, 76:8-9)

The Muslim jurisprudents see that the content of these verses invites Muslims to treat non-Muslims with

1- Ibn Qayyim Al-Juziyah (1981). *Ahkam ahlu Al-Dimmah*. Dar Al'ilm lilmalayin. Vol. 1/204

pay it. He will not even be required to pay for the days he was physically in good health. [1]

- On the Social Conduct

6. For the purpose of setting the fundamentals for a positive attitude towards non-Muslims, jurisprudence has expanded on appropriate social conducts capable of giving a positive image about Islam and Muslims. Among these social conducts, we mention Islam's recommendation to pay visit to non-Muslims if they happen to be sick, since frequent visits may soothe their pain.

Islamic jurisprudence allows Muslims to visit Jews and Christians when they fall sick on the grounds that the Prophet (PBUH) visited a Jew who used to serve him. Ahmed (May his soul rest in peace) was once asked if it was permissible to pay visits to relatives and Christian neighbours. He replied: "yes".[2] He also saw no harm in sharing their bereavement, especially when they lose a person dear to them. A Muslim can give his condolences to a *Dhimmi* to soothe his grief using any utterance like "Nothing befalls you except good", "May it be your last bereavement!"

Abu Yusuf says, 'I asked Aba Hanifah: 'how to offer one's condolences to a Jew or a Christian?'' He replied: ' say

1- Ibn Qayyim Al-Juziyah (1981). *Ahkam ahlu Al-Dimmah*. Dar Al'ilm lilmalayin. Vol. 1/29.
2- Ibn Qayyim Al-Juziyah (1981). *Ahkam ahlu Al-Dimmah*. Dar Al'ilm lilmalayin. Vol. 1/200

People of the Covenant (*i.e., dhimmis*); the aim is to protect the political bond of the Islamic society from devastation and persuade non-Muslims that they actually share with Muslims the same homeland. This does not, in the least, negate religious diversity, because Islam does not aim to force non-Muslims out from their homeland. Nor, does it encourage acts of discrimination among citizens on the basis of religion, race, or region.[(1)]

Still, accepting the citizenship label does not entitle non-Muslims to challenge the Islamic reference of the state which is the representation of the majority of Muslims. Nor, does it entitle them to oppose its legal orders by crossing Islamic constitutional legal texts at will.

Islam does not oblige women to pay *jizyah.* The Muslim scholars (*fuqaha'*) say: "the woman does not pay *jizyah*. In case she does, she must be informed that she does not have to; otherwise, *jizyah* must turn back to her in its totality. But, if she wants to pay it on her own accord, then the *jizyah* takes the form of a donation which is subject to the Islamic rules of donation."[(2)] Moreover, *jizyah* should not be paid before its due time unless non-Muslims wish to pay it earlier.

5. If a person has to pay *jizyah,* but for some reason he becomes unexpectedly poor or inept, he needs no longer to

1- See the idea of citinzenship in: Tariq Al-Bichri (2004). *Al-Muslimun wa Al-Aqbat fi Itar Al-Jama'ah Al-Wataniyyah.* Cairo: Dar Al-Shourouq. p. 54.
2- -Ibn Qudamah, *Al-Mughni* Vol. 10/572.

(PBUH) and the religion of Islam. If someone harms them with inappropriate speech, defamation, any sort of hurt, or is an accomplice to such actions, then he has made light of the Covenant of Allah, His Messenger (PBUH) and Islam. Talking about levels of consensus (i.e., *maratib al-ijmaa'*) Ibn Hazm narrated that "if we are attacked by an enemy who is targeting the People of the Covenant living with us, it is our obligation to come fully armed and ready to die in battle for them, and to protect those people who are under the protection of the Covenant of Allah and His Messenger (PBUH). To do any less and surrender them would be blameworthy neglect of a sacred promise".(1)

4. Another aspect of Islamic tolerance and leniency is its permission to take *jizyah* from non-Muslims in the name of charity would the latter refuse the usage of the word *jizyah*. Umar Ibn Al-Khattab asked Al-Nu'man Ibn Zar' to get *Jizyah* from Bani Taghlib in the name of charity as they had refused to name what they paid *jizyah*. Umar wondered why they should have accepted the content of *jizyah while* rejecting the name at the time. At any rate, Umar assented to their wish to shun conflict with non-Muslims who were not obliged to declare publicly that what they paid was *jizyah*.(2)

On the basis of Umar's stance, it is possible to accept naming non-Muslims as citizens if they refuse to be called

---

1- Al-Qarafi, *Al-Furug*. Dar Al-Ma'rifah: Beirut.

2- Ibn Qayyim Al-Juziyah (1981). *Ahkam Ahlu Al-Dimmah*. Dar Al'ilm lilmalayin. Vol. 1/80., -Ibn Qudamah, *Al-Mughni* Vol. 10/583.

Islamic history has recorded many examples about *jyzyah* in return for defence and security. Abu Yusuf reported that when Abu 'Ubaydah discovered that the Romans were armed to the teeth to invade Muslims, he wrote letters to all Muslim governors commanding them to turn the *jyzyah* and land tax back to non-Muslims:

"We have turned you your money because we have been informed of the gathering of the enemy troops. You people, according to the conditions stipulated in the contract, have obliged us to protect you. Since we are now unable to fulfil these conditions, we are returning you your money. We will abide by the conditions as agreed upon if we overcome the enemy."[1]

3. In order to clarify the nature of the political relationship established between the People of the Covenant (*Dhimmiyin*), whom we can label the 'Protectees', and the Islamic state, it is important to introduce a significant text picked up from one of the scientifically documented books written by Al-Qarafi titled *Kitab Al-Furuq*. In fact, the import of the text is beyond any clarification or commentary. Al-Qarafi says:

'The Covenant is a contract having conditions that are compulsory for us, because they are under our protection as neighbours, in our safe-keeping and the Covenant of Allah the Almighty, and the Covenant of His Messenger

1- Abu Yusuf, *Al-Kharaj*. Dar Al-Maa'rifah: Beirut. p. 139

regulations in marriage, divorce, and inheritance, and to eat the food they see permissible in their religion.

However, it is incumbent upon non-Muslims, in return, to pay a light tax known as *jizyah* in Islam to the Muslims` Exchequer. This tax is less than alms tax (*zakat*) which is normally paid by Muslims only. Nevertheless, that jizyah is not levied on poor and disabled people, aged men, women, and children; rather, these people are entitled to some financial assistance if they are really poor and satisfy the conditions set up by ‘Umar Ibn Al-Khattab (May Allah be pleased with him). Importantly enough, they benefit from a lot of Muslim donations that are tolerantly permitted by the Islamic legacy.

2. The Muslim scholars examined in depth the meaning of *jizyah.* Some think that it originates from the word *jaza’,* which refers to the amount of money paid by non-Muslims in exchange for security and protection of life, property and honour. This view finds support in the fact that the state principally refrains from collecting *jizyah* in case it fails to protect the targeted people from their enemies.

It is also said that the name *jizyah* is derived from the word *jazaa’* which literally means repayment or compensation, a meaning used in the Qur’an in the following verse: **“when one soul shall not avail another”** [Al Baqara, 2:48][1]

1- Ibn Qudamah (1984), *Al-Mughni.*10/557. Dar Al-fikr

The **Application of Jurisprudence in dealing with non-Muslims**

It is primarily stressed that both the individual and collective conducts should stem from the Islamic frame of reference; this is the reason why the individual as well as the group endeavour to measure the attitude of Islam against any act they want to perform. When the jurisprudence (or *fiqh*) sustains this attitude, it automatically grants it the legacy and makes its application extensively feasible.

Granted that, it becomes compelling to look for jurisprudential rules that have shaped the behaviour of Muslims towards the others. In so doing, we move from theory to practice when dealing with non-Muslims and put an end to open hazy interpretations of the Qur'anic verses.

The present contribution will try to highlight a set of Muslim scholars' (*fuqaha*) sayings which draw extensively on various issues concerned with the attitude of Muslims towards non-Muslims.

- On the Political Identity of non-Muslims

1. When non-Muslims accept to live in the Islamic state, they are entitled to full protection of their rights which include preservation of their life, property and honour, and to complete freedom to practice the rituals of their religions in their temples. Similarly, they enjoy autonomy in that they are permitted to make use of their religious laws and

governor of Egypt and his son who beat a Copt with a whip, saying, “I am the son of a nobleman (i.e., more worthy and generous than you).” The Copt travelled to Madinah to lodge a complaint with the Commander of the Faithful, ‘Umar Ibn Al-Khattab (May Allah be pleased with him). So, the Khalifah summoned ‘Amr and his son, and gave the whip to the Copt, telling him to beat the ‘son of the nobleman’, and then said his famous statement that has been reverberating across time: ‘since when did you enslave people whilst their mothers brought them free into this world?’

The core of ‘Umar’s statement agrees exactly with the international convention of human rights.

7. Sufyan Ibn ‘Ayyinah narrated that ‘Umar said: ‘a Christian woman bearing the child of a Muslim was buried in a cemetery with Muslims.’[1]

8. When ‘Umar visited Al-Qiyyamah church, the patriarch Sophronius invited him to perform his prayer inside the church, but ‘Umar declined the offer replying: ‘Had I prayed inside the Church, the Muslims will take it after my death arguing that this is the place where Umar once prayed.’[2]

1- Ibn Qayyim Al-Juziyah (1981). *Ahkam Ahlu Al-Dimmah*, Dar Al’ilm lilmalayin: Beirut, Vol. 1/208.

2- The Arab Organization for Education, Culture, and Science (1990). *Mawsu’atu al-Mudun Al-Falastiniyah*. P. 590.

- The Jew sat in front me and said, 'That is my suit of mail. It is in my possession.'
- I asked, 'Commander of the Faithful, do you have any proof?'
- Yes, I have two witnesses: my son Al-Hassan and Qanbar can testify that it is my suit of mail.'
- I said, 'Commander of the Faithful, the testimony of a son in his father's favour is not admissible in court.'
- Ali exclaimed, 'Glory be to Allah! You cannot accept the testimony of a man who has been promised Paradise?'
- The Jewish man said, 'The Commander of the Faithful takes me before his own judge, and the judge rules in my favour against him? I bear witness that there is no deity but Allah, and that Muhammad is His Messenger, and that the suit of armour is yours, Commander of the Faithful.[1]'

6. Another instance of Muslims' favourable attitudes towards non-Muslims is the story of 'Amru Ibn Al-'Ass (May Allah be pleased with him), the

1- Al-Salabi Muhammad Ali (2005). *Ali Bnu Abi Talib*. Dar Ibn Kathir: Damascus. P. 282

of Ilya' (i.e., Bait al-Maqdis): they are guaranteed the security of their lives, their possessions, their churches, their crucifixes, and every one within, whether sick or healthy as everyone in their religious community. No Muslims shall be quartered in their churches, destroy or diminish their area or space, or the crucifix of their churches or any of their property.'[1]

5. The historians narrated that 'Ali (May Allah be pleased with him) missed a suit of mail. He went back to Al-Kufah and found it in the hands of a Jewish man who was selling it in the market. He said,

   - "O Jew! That suit of mail is mine: I did not give it away, nor sell it."
   - The Jew said, "It is mine; it is in my possession."
   - 'Ali said, "We will have the judge rule on this for us"
   - Shurayh who was the judge said, "So they came to me, and 'Ali sat next to me, and said, "That suit of mail is mine: I did not give it away or sell it.'

1- Abu Jaa›far Al-Tabari (1968). *Tarikh Al-Umam wa Al-Muluk.* Vol. 3609/, authenticated by Muhammad Abu Al-Fadle Ibrahim. Dar Al-Marif: Cairo.

knowledge and wisdom"

(Al-Tawbah, 9: 60)[1].

Umar continued,

"The *fuqara'* [poor] refers to Muslims, and the *masakin* [needy] refers to the People of the Book such as this man. " Umar then ordered that the *jizyah* not be collected from the old man or anyone like him.

This story is therefore strong evidence for the benefit of the People of the Book from the money of the Islamic state.

3. Ibn Al-Qayyim Al-Juziyah mentioned that Umar Ibn Abdelaziz wrote to his governors what follows: "Do not demolish any church, synagogue or fire-temple"[2].

4. 'Umar Ibn Al-Khattab strived to maintain the rights of the People of the Book at the state level and preserve them as much as possible. This is clear from what he wrote in the treaty with the people of Ilya' of Jerusalem:

   "This is the security given by the servant of Allah, 'Umar, Commander of the Faithful to the people

1- Abu Yusuf, (without date). *Tribute. P. 126*
2- Ibn Qayyim Al-Juziyah (1981). *Ahkam Ahlu Al-Dimmah*. Dar Al›ilm lilmalayin. P. 690.

- “What community are you from?”
- “I am Jewish.”
- “What had reduced you to this state of affairs?”
- “Don’t ask me; ask the *jizyah,* poverty, and old age.”
- ‘Umar (May Allah be pleased with him) led the old man to his own home, and gave him some of his personal funds, then he sent for the head of the treasury, whom he told:
- “You must look after this man and anyone like him; we did not treat him fairly. He should not have spent the best years of his life among us only to find degradation in his old age”. ‘Umar then quoted from the Qur’an:
- **“Alms are for the poor and the needy, and those employed to administer (the funds): for those whose hearts have been (recently) reconciled (to Truth); for those in bondage and in debt; in the cause of Allah. And Allah is full of**

of the Companions that reflect the good relationship they developed with non-Muslims and provide a full picture of the positive Islamic attitude towards the non-Muslims. However, we will confine ourselves to just a few examples of the acts of the most prominent Companions:

1. It was narrated by Abi Yusuf that Umar Ibn Al-Khattab (May Allah be pleased with him) happened to pass by some people from Syria who had been made to stand in the sun, and olive oil was poured on their heads. He said: "What is the matter? He was told that they had been detained for the non-payment of *jizyah* (i.e., modest tax). After inquiring about the motives that compelled those tormented people to abstain from paying their *jizyah*, Umar ordered them to release the detainees. Thereupon he said "I bear testimony to the fact that I heard the Messenger of Allah (PBUH) saying, 'Allah will torment in the hereafter those who torment people in the world.'

2. The second case is also told by the Imam Abu Yusuf (May Allah be pleased with him), about the *Khalifah* 'Umar Ibn Al-Khattab (May Allah be pleased with him), who passed by a home where there was a blind, elderly beggar standing in the doorway. 'Umar tapped him on the shoulder, asking him,

The Companions' (*Sahaba*) and Successors' (*Tabi'i*) Execution of the Islamic attitude towards Non-Muslims

The era of the Companions was the most faithful to the Islamic teachings and decrees in the whole Islamic history. The contact of people from different cultures and religions allowed for social changes which gave the impetus for Muslims to develop *Ijtihad* (i.e., intellectual effort) for the sake of setting Islamic rules and applying them to the daily social facts. Thanks to this faithfulness and trustworthiness in the application of such rules, it became frequent in the *Ijtihad* vision to inquire about the feasibility of considering the doctrine of the Companions (may Allah be pleased with them all) as a deductive evidence.

It is unanimously agreed upon that some acts of *Ijtihad* produced by the Companions have become part of *fiqh* (i.e., jurisprudence or Islamic law), especially *fiqh* of the great Companions. More strikingly, an important part of the jurisprudent doctrines were established on the basis of the Companions' *fiqh*. For example, the Maliki jurisprudence drew extensively on the *fiqh* of Umar Ibn Al-Khattab and Ibn Umar, and the Hanafi jurisprudence was an extension of the *fiqh* of Ibn Mas'ud who lived in Al-Kufa.

Given that, we can introduce examples from the acts

9. Yahya Ibn Adam narrated in the Book of *Al-Kharaj* (tax) that the Prophet (PBUH) wrote Mu'adh Ibn Jabal a letter instructing him not to sway the Jews from their religion but to allow them to practice it as they had done before[1].

10. Abu Dawud narrated that the Prophet (PBUH) said: "You must know that if someone oppresses a person with whom we have a treaty [*a dhimmi*], imposes upon him something beyond his limits, or takes something from him against his will, I will argue against him [the oppressor] on the Day of Judgment".[2]

1- Yahya Ibn Adam (without date). *The Book of Tribute (Al-Kharaj).Dar Al-ma'rifah: Beirut,* P. 37.

2- Sunan Abu-Dawud, *Tribute, Spoils, and Rulership*.

there; the latter told his son to obey Abul-Qasim (PBUH). The Prophet (PBUH) came out saying: 'All praises and thanks be to Allah Who saved the boy from the Hell-fire'.

7. Ibnu Qayim Al-Juziyah mentioned that when Abu Talib's death approached, the Prophet (PBUH) went to visit him while Abu Jahl and Abdullah bin Abi Umaiya were present with him. The Prophet (PBUH) said: 'O Uncle, say: None has the right to be worshipped except Allah, so that I may argue for your case with it before Allah. 'On that Abu Jahl and Abdullah bin Abi Umaiya said: 'O Abu Talib! Do you want to renounce Abdul Muttalib's religion? 'Then the Prophet (PBHU) said, 'I will keep on asking (Allah for) forgiveness for you unless I am forbidden to do so.'(1)

8. When the news of this wanton bloodshed reached the Prophet, he was deeply grieved and said three times in exclamation: "Oh, my Lord, I am innocent of what Khalid has done." He dispatched a large sum of money and asked Ali (May Allah be Pleased with him) to distribute it among the widows and orphans of the slain and severely rebuked Khalid.(2)

1- Ibn Qayyim Al-Juziyah (1981). *Ahkam Ahlu Al-Dimmah*. Dar Al'ilm Al-malayin Vol. 1/200.
2- *Sirat Ibn Hisham*, Vol. 4/55

4. Al-Bukhari devoted in his book titled Funerals a chapter to those who stand up for funeral processions which he named *'Standing for the funeral procession of a Jew'*. He narrated in such a chapter that the following happened: "One day a funeral procession passed by and the Prophet (peace and blessings of Allah upon him) stood up. The people objected saying 'But it is the funeral of a Jew,' and he responded, 'Is not he a human being?"

5. Writers of S*ira* mentioned that a delegation of Christians from *Najran* came to visit the Prophet (PBUH) into his mosque after Al-A'sr prayer. When time for their prayer had come, they began to perform their prayer inside the mosque. Some of his companions tried to prevent them from doing so. But, the Prophet opposed and said: "Let them perform their prayer". Then, they faced eastward and performed their prayer(1).

6. Al-Bukhari narrated in his *Sahih* in 'The Book of Funerals' (*Al-Janâ'iz*) that a young Jewish boy used to serve the Prophet (PBUH) and he became sick. So the Prophet went to visit him. He sat near his head and asked him to embrace Islam. The boy looked at his father who was sitting

1- *Sirat Ibn Hisham*, Vol. 2/159, Al-SShayli (1915). *Al-Rawdu Al-Anfu* Vol. 2/45: Egypt.

they suffered from famine. He ordered that that sum of money should directly be handed over to Abi Sufian Ibn Harb and Safwan Ibn Umayyah who, in their turn, should distribute it to the needy people from Makkah. Abu Sufian welcomed the idea, but Abi Safwan rejected it claiming that Muhammad wanted to deceive the youth by such a move[1].

2. Abu Ubaydah stated at the end of the book of Revenue (i.e., *al Amwal*) that the Prophet (PBUH) gave charity to the families of Jews, since it was permitted for them.[2]

3. Al-Bukhari narrated that Asmaa' Bintu Abi Bakr said: **"My mother came to visit me when she was still a polytheist and she was living amongst Quraish. She was desirous, meaning in need, so I asked the Prophet (Peace and Blessings be Upon Him), and said: Oh Prophet of Allah my mother came to me and she is a polytheist and she needs help. Should I keep a good relationship with her? He said yes maintain a good relationship with her.'**

1- *Al-Sarakhssi, Muhammad* (1977). *Sharh Siyar al Kabir* (explanations and comments on the book *al Siyar al Kabir* by al Imam Muhammad Hasan Al Shafi'i), (Vol. 70/1), Dar al-Kutub al-Ilmiyyah: Beirut.

2- Abu Ubayd (1986). *The Book of Revenue (Kitab al-Amwal)*. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah: Beirut. P. 605

atmosphere for deep understanding and affinity.

Consequently, the Prophet (PBUH) set various rules for Muslims to hold when dealing with non-Muslims. He himself developed various attitudes towards non-Muslims following the Islamic interest (*maslaha*). For example, he sometimes endured patiently all sorts of hardship they caused him. He even made alliance with them when need be, as his saying shows: 'There is no alliance (*hilf*) in Islam but (the hilf) established in the pre-Islamic days (for good). Islam intensifies it and strengthens it'[1]. He set a lot of peace agreements (e.g., the Treaty of al-Hudaybiyah) with them concerning common self-defence as he did with the Jews of *Yathrib* and its suburbs when he entered *Madinah* and as he did with the Christians of Al-Habasha. Following the Prophet's model, the Muslims made peace with the Christians of Al-Nawbah and Mua'awiyah Ibn Sufian made peace with Armenians.

After all these elucidations about the significance of introducing Islam as a religion of bloodshed, it is now necessary to move from theory to practice putting forward a number of materialized practices which embodied the Prophet's attitudes towards non-Muslims.

1. Al-Surakhssi stated that the Prophet (PBUH) sent five hundred dinars to people of Makkah when

1- *Sahih Muslim, Book 31*: The Book Pertaining to the Merits of the Companions (May Allah be pleased with them) of the Prophet (PBUH) (Kitab Al-Fada'il Al Sahabah).

fight Muslims. It abided by its rules literally. Thanks to the objectives of this categorization, we clearly notice the existence of non-Muslims in Muslim lands which they reigned before. It had also its constructional and social impacts materialized in temples and non-Muslim cemeteries. Moreover, it had its commercial and economic impacts manifested in the existence of industries and businesses like pigs raising and the trading in alcohol, crosses, bells, the church dressings, burring materials, food relating to some feasts and religious occasions (i.e. *challah* which the Jews eat on the Sabbath).

The reason why people fail to evaluate positively the relation of Muslims with non-Muslims is ascribed to the fact that Muslims think wrongly of acting upon Hadiths which deal with war before other Hadiths that preach peace and security.

On the other hand, the failure of non-Muslims to talk favourably about Muslims and their relationships with the others is due to the negative stereotyped image that has taken shape in the Occidental mind for a long time, though it reached its acme during the Crusades. People who currently uphold this negative view fall helplessly into the trap of Islamophobia project which rests on the very idea of scaring away people from Islam. Worse, the project of Islamophobia aims at preventing non-Muslims from getting close to know its true facts, which creates a favourable

who made a peace agreement with Muslims so that they could live with them in security and reassurance. Additionally, the agreement involved mutual cooperation, visits exchange and the protection of common interests. But, the agreement did not always require from the armistice people to pay an amount of money in return.

Such *status quo* gave birth to a very fruitful contact with non-Muslims thanks to whom a lot of science and knowledge (e.g., books of medicine, mathematics, astronomy, alchemy, logic and philosophy, etc.) were transferred to the Islamic society. Non-Muslim translators and interpreters were really bridges of knowledge transfer especially during the Abbassides Era.

3. **Protection seekers:** these are non-Muslims who came to the Islamic territories for a short residence to accomplish a mission like ambassadors, politically official spokesmen, businessmen and refugees who fled from wars and tyranny like 'needs` seekers'[1] (i.e., students and tourists and others).

The Islamic *Ummah* was familiar with such a varied categorization of non-Muslims who did not intend to

1- Ibn Qayyim Al-Juziyah (1981). *Ahkam Ahlu Al-Dimmah*. Dar Al'ilm lilmalayin. Vol. 2/476.

The questions I have already advanced drew attention to the necessity of contemplation and to the importance of taking enough time so as to be able to get all practical and textual facts before shaping the final attitude of Islam towards non-Muslims. Among these texts, we cite the significant saying of Ibn Abbas that was narrated by Al-Bukhari: "**The pagans were of two kinds as regards their relationship to the Prophet and the Believers. Some of them were those with whom the Prophet was at war and used to fight against, and they used to fight him; the others were those with whom the Prophet made a treaty, and neither did the Prophet fight them, nor did they fight him.**"[1]

Non-fighters from non-Muslim religions could be categorized into three types according to their standpoints and to the nature of their relationship with Muslims:

1. **People of the Covenant:** these are people who reside permanently with Muslims enjoying complete rights of practicing their religious rites and equal opportunities to contribute to economic and social development. They are also defended against any probable hostility by virtue of their belongingness to the Islamic society.

2. **People of the armistice**: these are people

1- *Sahih Al-Bukhari*, *The Book of Divorce.*

of a huge number of Jews and Christians in the Islamic countries? How can we explain the clear existence of their temples and old churches until now bearing in mind that the number of churches amounted to eleven thousands during the reign of Al-Maamoun as was corroborated by Will Durant and others? How could non-Muslims throughout the Islamic history manage to build up more new churches than needed in the Islamic territories?

These are only a few questions, and we can advance more relevant ones the responses to which can undoubtedly point to Muslims' diversity of dealing with non-Muslims and can deny their desire for eradicating them.

The real meaning of the Hadith determines the Prophet's intent behind fighting; that is, he did not aim at usurping others' wealth and riches or annihilating them altogether. Nor, did it purport to put an end to their civilizational role as the invaders did with other civilizations.

It is the fact that the real and conclusive attitude of the Prophet (PBUH) towards non-Muslims cannot be extracted from just one Hadith; rather, it should be extracted from a set of relevant Hadiths taking into account the principle of preference (i.e., *tarjih*) and objection of the evidence (i.e., *muqabalah*). It should similarly be extracted from the social practice and the various attitudes which shape the overall framework of dealing with non-Muslims.

How can we explain his instructions not to kill the monks and worshippers who are cut off in hermitage during wars bearing in mind that they are the main powerful source which nurtures and preserves non-Islamic religions from disappearance? If the intention of Islam had been primarily to eradicate the opposite religion, clergymen would reasonably have been the first to be targeted.

3. How can we accept the belief that Islam fights non-Muslims rigorously when we discern that the Prophet (PBUH) had a deal with the Jews of Khaybar concerning the preservation of palms and that he sent Mu'ad to Yemen ordaining him to take one dinar from non-Muslims or else some clothes?

4. If the Prophet had dealt with non-Muslims only in terms of struggle, how he could have established rules of treaties and covenants and rules by virtue of which Churches could be preserved and non-Muslim worshippers granted enough freedom?

5. If Islam aims at fighting non-Muslims, why does it allow Muslims to marry women from other heavenly religions?

6. If the Prophet (PBUH) ordained Muslims after his death to fight non-Muslims, how can we then explain his instructions to treat Copts with kindness and benevolence? More strikingly, how can we explain the very existence

they testify that there is no god but Allah, and he who professes it is guaranteed the protection of his property and life on my behalf except for a right warrant, and his affairs rest with Allah'. Undeniably, it is an authenticated Hadith, but grasping its meaning requires the advancement of some inquiries which will certainly disambiguate key aspects of its content. Among such inquiries we cite the following:

1. It was narrated by Al-Bukhari, Al-Tarmithi and others that the Prophet (PBUH) pawned his body armour (dir') to a Jew in exchange for some food. The question that should be raised here is the following: how can we pretend that the mission of the Prophet (PBUH) is primarily confined to killing non-Muslims when there still existed a sound and safe Jew selling him food?

Can't we infer from this story of body armour pawning meanings of security and unpreparedness for war? How can a warrior pawn his arms which guarantee his protection and continuity? If he dares pawning his arms, it is because he thinks to have this deal with somebody he does not consider to be an enemy.

2. If the Prophet is assumed to have really dealt with non-Muslims from the position of a fighter, how can we then explain his instructions to treat the Jews and the Christians with righteousness and goodness?

to the Muslims than to any other people who did not own a divine Book.

It is narrated in books of *Sira* that when the Muslims migrated to al-Habasha, Quraysh sent two men to Al-Najashi to bring them back home. They tried very hard to persuade him to respond positively to their dire wish. For this to happen, the two men concentrated on the Muslims' creed about Mary and Jesus claiming that the Qur'an had negative attitudes towards them. But, when Al-Najashi heard from the Muslims how the Qur'an defended Mary, he commented as follows: 'The words of Jesus (PBUH) and the words of your prophet have descended from the same source'. The two men were biting their lips in annoyance reminding Al-Najashi of the Qur'an's attitude towards Jesus. This was a very difficult situation for the Muslims as Jesus is not considered the son of God in the Qur'an as Christians claim. Muslims explained to Al-Najashi that Jesus is a Messenger of God, the Word of God, and miraculously born son of the Virgin Mary. In response, Al-Najashi gave refuge to the Muslims refusing absolutely to hand them over to the leaders of Quraysh. He then converted to Islam, a fact that put an end to any claim that the King was under pressure or compulsion to accept Islam as a heavenly religion.

2. So often, some people quote the Prophet's Hadith reported by Abu Huraira(may Allah be pleased with him): **' I have been commanded to fight against people until**

The Attitude of the Prophet (PBUH) Towards Non-Muslims

When we attempt to illuminate the concrete attitude of the Prophet (PBUH) towards non-Muslims, we should make reference to the down-to-earth daily practices of the prophetic relationship with them. This is because the impact of the Prophet's actions are more expressive than the wordings of Hadiths which might be expressed figuratively, solely oriented to notable persons, or liable to a subsequent abrogation.

On the basis of such an illumination, it is worthy to initially concentrate on the presentation of some prophetic attitudes and practices capable of highlighting the Prophet's approach in this regard.

1. The success of the Prophet (PBUH) in establishing a relationship of mutual respect with non-Muslims stemmed admittedly from his generous dealing and his unprecedented justice. Moreover, the strategies of dialogue adopted in the Qur'an and the Sunna had an influential impact in bridging the gap between Muslims and non-Muslims. For example, the Qur'an shed light on non-Muslims' fundamental beliefs putting challengingly but respectfully the finger on their prone weaknesses. At the same time, it did not forget to mention the valid and strong aspects of their beliefs. In a word, the Qur'an viewed the People of the Book as closer

would other powers have refrained from attacking it? Such questions can aptly be answered by those who are truly concerned with founding and preserving a state.

Additionally, one gets stunned at the massive military power of some individuals who turned back from faith after the death of the Prophet (PBUH). They managed to cause some damage to the Islamic army despite its power, long experience, and military expertise. They had never displayed such a strong power throughout their history. If they had had this power before, they could have undoubtedly founded their own state, secured their own pathways and dispensed with the powers of the Romans and Persians who used them as bodyguards of their strongholds and caravans.

financed by the Romans[1] to intentionally challenge the Prophet who was normally in the right position to ordain Muslims to erect mosques for the sake of serving Islam, not destroying it.

It happened in the early history of Islam that the Qur'an called for ignoring three men who lagged behind refusing to join *Tabuk* battle. They were temporally boycotted by society in its entirety and excluded completely from the life of the community. No society member was ever allowed to talk to them. The news of the three laggard people reached the enemies of Islam on the spur of the moment. Surprisingly, Ka'ab Ibn Malik – one of the three men – heard unexpectedly somebody calling him in the market. It was a Christian farmer who came to temptingly present Ka'ab a letter from the King of Ghassan (a pro-Roman) to persuade him to join his army against Muslims.[2] This story of Ka'ab showed how active the Roman intelligence

services were at the time and how skilful their strategies of infiltration were when they decided to control the Islamic affairs by hook or by crook.

Could it be possible therefore for these powers to let Islam move further? Suppose Islam had given up Jihad;

1- Abi Ja›afar Al Tabari (1987). Jami' Al Bayan fi Tafssiri Al Qur'an: 7/18. Dar Al Ma'a: Beirut
Sirat Ibn Hisham Tahdib Sirat Ibn Ishaq: 2/228. Dar Al Jil. Beirut. Ibn Ishaq (1987).
2- Ibn Hisham, Sirat Ibn Hisham: 4/534. Dar Al Rashad Al Hadithah.??

in the military academies which deal with issues related to war declaration and termination, peace agreements, the use of banned and authorized arms, the civil rights, the fate of prisoners, war criminals, etc.

The attitude of Islam towards *Jihad* can only be understood in the light of Muslims' determination to carve out an important place in a world which was divided into two poles: one belonging to the Persian Empire and the other to the Byzantine one.

It would be naïve to think that one of these forces could have stomached the spread of Islam over its own territories, let alone over other influential parts of the world. Facts revealed that these two great Empires were seriously concerned about all daily events in *Madinah* relying on the detailed information provided by their intelligence services. The demolition of the Muslim's community had grown within their perspective an urgent necessity.

Imprudent readings overlooked the fact that the Roman and the Persian Empires interfered markedly in the Islamic affairs since its emergence. By way of illustration, suffice it to mention the story of *Al Dirar* mosque which was built up near *Madinah* by proponents of the Romans. These opponents of Islam met regularly in that mosque promising its attendees that Abi Amir would turn back from Rome accompanied with troops armed to the teeth ready to invade *Madinah*. The foundation of the mosque was mischievously

of the Islamic state and not a means of forcing people coercively to embrace Islam, simply because there is no compulsion in religion. Additionally, it is commonly known that Islam initially emerged with the Prophet Mohamed (PBUH) who built up his first group of people in the Makkah era where Muslims were very weak, miserable, and unable to make use of any kind of power or arms. The strong evidence and logic of the Qur'an were enough to prove the authenticity and validity of Islam. They further enabled Islam to found a group of Muslims before the migration of the Prophet (PBUH) to *Madinah* where he would establish a powerful state similar to any state world-wide.

But Islam did not talk about *Jihad* in the *Madinah* era until it became a pressing exigency of the state; one cannot imagine a state – no matter how small it is – without a military institution capable of defending its existence. Importantly enough, owning the arms can serve as an immunity to prevent war from sparking off because 'power can cancel power' as the saying goes. On the other hand, Islam controls *Jihad* perfectly so that its aim would not be that of killing and annihilating humanity at will. Nor, is it that of expanding territories at the expense of other nations stripping them of their sources of riches and power.

In a manner of speaking, the conceptualization of *Jihad* in the Qur'an is similar to that taught and discussed

evidence to prove the human interference in the Old Testament texts. Eventually, he came to realize that the texts of the Torah were reformulated long after the era of Moses.(1)

The Genesis (34: 5-9) talked about the death and burial of Moses in the land of Moab.

Like Spinoza, Voltaire criticized the distortions of the New Testament bitterly when he sarcastically said: "it is obvious that the Creator was not very good at geography". Reinforcing this idea of distortion, I personally reckon that the Qur'an does not run miles away from the foundations of the religious reform movement in Europe in this regard.

With the advent of M. Eckhart (1328), T. Campus (1421), and J. Wycliffe (1384), Christianity witnessed a very big conflict and division that could have been avoided if the Christians had responded favourably to the criticism of the Qur'an.

13. Finally, I should mention that *jihad* (i.e., holy war) is one of the most important issues which opponents of Islam endeavour to exploit in persuading the world that the Islamic religion aims primarily at rooting out its enemies. In response to such unfounded claims, I should say that *Jihad* is basically one of the mainstays

---

1- Mohammed Ahmed Al Qadi, *Al-tawrat Al-Samiriyah*. Dar Al-Ansar Publishing House. P. 242

Of Allah. Whatever good
Ye give, shall be
Rendered back to you,
And ye shall not
Be dealt with unjustly.

Al Baqara, 2:272)[1]

It was also narrated that some Companions (*Sahaba*) said: "shall we give charity to non-Muslims?" Immediately after this inquiry, Allah revealed to His Messenger: *'It is not required, Of thee (O Messenger), To set them on the right path…'*. The verse rejects to link good and charity with harmony in religions.

12. Some people may assume the idea that the Qur'an talks about changes and distortions in the Holy Books. While this is true, the Qur'an does not direct its criticism to the revealed divine religions *per se;* rather, it addresses the human act responsible for such alterations and unscientific interference in the texts.

What the Qur'an mentioned as regard the human adaptation of the divine text agrees congruently with strong findings of non-Muslim scholars of ancient religious texts. Baruch Spinoza, the famous Dutch philosopher, devoted enough space in his treatise, ***Theologico-Political Treatise***[2], introducing a lot of

---

1- Al Suyouti, Jallal Din (1993). Al dur Al manthur fi Al tafsir bilmaathour (87/2). Beirut: Dar Al Fikr

2- Spinoza, Baruch (????). *Theologico-Political Treatise*. P. 269.

From dealing kindly and justly
With them: For Allah loveth
Those who are just.

(Al Mumtahana, 60:8).

It should be noted that the Islamic positive attitude towards non-Muslims goes squarely with the positive dealings of all civilized nations with their friends and enemies.

Some *Mufassirin* (interpreters of the Qur'an) narrated that Ibn Abbas reported that there existed some Muslims who had some kinships from *Quraydah* and *Al Nadir*. They supported these kinships financially with the chief motive of getting them to embrace Islam. But, the Qur`anic verse below came as a strong response against such an unwise behaviour:

It is not required
Of thee (O Messenger),
To set them on the right path,
But Allah sets on the right path
Whom He pleaseth.
Whatever of good ye give
Benefits your own soul,
And ye shall only do so
Seeking the "Face"

understanding the confines of freedom.

10. Muslims are enjoined to do justice and act righteously neutral towards non-Muslims in all circumstances even if they have an aversion to them. Allah says:

O ye who believe!
Stand out firmly
For Allah, as witnesses
To fair dealing, and let not
The hatred of others
To you make you swerve
To wrong and depart from
Justice. Be just: that is
Next to Piety: and fear Allah.
For Allah is well-acquainted
With all that ye do. (Al Ma'idah, 5:8).

11. The Qur'an resolves that non-Muslims should principally be treated kindly and equitably so long as they are not rampant and out to destroy Muslims and their Faith. Allah says:

Allah forbids you not,
With regard to those who
Fight you not for (your) Faith
Nor drive you out
Of your homes,

insulting their deities, because such an irresponsible act would justifiably generate unnecessary reciprocal reactions. Allah the Almighty says:

Revile not ye
Those whom they call upon
Besides Allah, lest
They out of spite
Revile Allah
In their ignorance. (Al An'am, 6: 108)

Another verse which came to corroborate such an Islamic civilized behaviour is expressed in the following:

And dispute ye not
With the People of the Book,
Except with means better
(Than mere disputation), unless
It be with those of them

(Al'Ankabut, 29: 46)

The verse teaches the Muslims to avoid futile disputations with the People of the Book. Any dialogue with them should take respectfully their religious emotional sensitivity into account regardless of the falsity of their beliefs. Humanity needs to be aware of this Islamic spirit to evade exposing the prophets to bitter scorn which emanates, on the whole, from lack of

verse was revealed:

Alif lam Mim
The Roman Empire
Has been defeated –
In a land close by:
But they, (even) after
(This) defeat of theirs,
Will soon be victorious –

(Al Rum, 30: 1-4)

The supportive attitude of the Qur'an towards the Romans (i.e., the People of the Book) in this verse expresses its high concern in preserving this religious power in detriment of the Pagan Persia. Importantly enough, Islam has never viewed the People of the Book as rival religious people. Nor, has it ever considered them as a serious threat to its future. On the contrary, the logic of the Qur'an dictates that those who belong to a divine religion are closer to Islam than those who adopt a positivistic religion or any people who do not principally have any religion. This is because one can make an alliance with the People of Book on a number of common issues.

9. Among the attitudes which form the basis for a civilized behaviour towards Non-Muslims are the noble Qur'anic warnings against their provocation by

tyranny of Pharaoh exercised over the children of Israel. It even narrated in detail how they were persecuted by Pharaoh and his clique and how they grievously had to face severe hardships. But Allah decided to change this very tragic *status quo* in favour of the Israelites. He said:

To establish a firm place
For them in the land,
And to show Pharaoh, Haman
And their hosts, at their hands,
The very things against which
They were taking precautions

(Al Qasas, 28: 6)

In the same vein, the Qur'an talked about the hard time which Christians endured depicting the act of their burning in a pit of fire in the following verses:

Woe to the makers
Of the pit (of fire)
Fire supplied (abundantly)
With Fuel:
Behold! They sat
Over against the (fire)

(Al Buruj, 85: 4-7)

The Qur'an reported the remarkable victory of the Persian Empire over the Roman Empire. But, it promised the latter a manifest victory shortly before this

praise twenty times: the Spirit of God and His Word, the blessed, and the obedient to his mother according to the Muslim scholar Al-Firuzabadi.(1)

Thanks to the stories of the prophets in the Qur'an, the Ummah (the community of submission) learnt how to respect them. Muslims did not take the life of the prophets as a comedy or a domain subject to disrespectfully irrational creativity. Rather, what scholars of Islamic creed and scholars of *tafsir* (interpreters of the Qur'an) wrote to prove the infallibility of the prophets and to argue against their intention to do sins was so great that it constituted the intellectual basis for the infallibility of all prophets.

7. Among the practical evidence showing respect for prophets is the frequent use of their names in the Islamic societies. For example, men are named Moses, Jesus, Joseph and Ilyas, etc, whereas women are named Mary and all names which were widespread during the life of prophets.

8. Among the proofs that reveal high consideration for the People of the Book is that the Qur'an talked about the ordeals and grievances they experienced throughout history. It paid tribute to their patience and firmness for the sake of protecting their beliefs.

It should be noted that the Qur'an talked about the

1- Al-Firuzabadi, Basairu dawi Al-TTamyiz. Vol. 6/111.161. Authenticated by Abdel 'lim Al-Talhawi. The Scientific Library of Beirut.

The Qur'an defended further the chastity of Joseph introducing him as true and sincere, a crucial divine witness which came to uphold his morale and to save him away from sin and unfounded accusation:

Of his Lord: thus
(Did we order) that We
Might turn away from him
(All) evil and shameful deeds:
For he was one of Our servants,
Sincere and purified. (Yusuf, 12: 24)

6. Not only did the Qur'an dispel the misconceptions held against the prophets due to religious conflicts, but it also wrote a clean and pure history which identified every prophet and Messenger free from falsehood; that is why, the Qur'an is considered as the most authentically important source of information about the great prophets. It informed us about the nascence of some of these great prophets and the secret of revelation which they received from Allah the Almighty. It also dealt with their attitudes, patience and the difficulties standing in their way.

The Qur'an mentioned the name of Moses one hundred and thirty six times and referred to him by his qualities fifty times. Similarly, it mentioned the name of Jesus twenty five times, and referred to him by words of

Their (daily) food. (Al Ma'idah, 5:75)

The Qur'an refuted the claim of Jesus' murder in this verse:

That they said (in boast)
"We killed Christ Jesus"
The son of Mary,
The Messenger of Allah" –
But they killed him not,
Nor crucified him, But so it was made
To appear to them,
And those who differ
Therein are full of doubts
With no (certain) knowledge
But only conjecture to follow
For a surety
They killed him not. (Al Nisa, 4:157)

The Qur'an thus puts an end to the all-important cause which triggers enmity between the Jews and the Christians. The recent Christian assemblies have found themselves compelled to follow the Qur'an's teachings in this regard in an attempt to establish a new relationship with the Jews. But, this challenging move means discharging Jews from any historical accusation, which subsequently leads Christians to renounce the creed of crucifixion: the central foundation of Christianity.

He found her supplied

With sustenance. He said

"O Mary! Whence (comes) this

To you?" She said:

From Allah: for Allah

Provides sustenance

To whom He pleases

Without measure. (Ali 'Imran, 3:37)

The Qur'an also highlighted the chastity of Mary when she gave birth to Jesus:

Behold! the angels said:

"O Marry! Allah hath chosen thee

And purified thee – chosen thee

Above the women of all nations. (Ali 'Imran, 3:42)

In the same vein, the Qur'an said about the Message of Jesus and the truthfulness of his mother what follows:

Christ the son of Mary,

Was no more than

A Messenger; many were

The Messengers that passed away

Before him. His mother

Was a woman of truth. They had both to eat

5. When the Qur'an exposed all the previous prophecies, it took upon itself to put an end to the hard time which the followers of the previous religions gave to their prophets as well as to other prophets. The Islamic creed rests on the belief that all prophets are innocent and sinless, especially after the Message.

   The Muslim scholars (*'ulamaa*) made an unprecedented effort to impugn all the falsehood directed against some prophets in some ancient texts.

The Qur'an defended Moses (PBUH) and warned against hurting him using tendentious rumours.

Oh you who believe
Be ye not like those
Who vexed and insulted Moses
But Allah cleared him
Of the (calumnies) they
Had uttered: and he
Was honourable in Allah's sight.

(Al Ahzab, 33:69)

The Qur'an also defended the purity of Mary (PBUH) mentioning her dignity while worshiping Allah and enjoying life of celibacy in *mihrab* (chamber) with the full sustenance of Allah. The Qur'an says:

Every time that he entered
(Her) chamber to see her,

different mothers but one religion'.[1]

All prophets are equal, in that they all have one mission and revelation; they all belong to the chain of prophethood. Yet, they can be distinct according to religion laws and their specificities and according to the amount of revelation they received from Allah like the Messengers of inflexible purpose (i.e., *uli al-azm*): Noah, Abraham, Moses, Jesus and Mohammed (Peace be upon them all). Allah says in this respect:

Those Messengers
We endowed with gifts,
Some above. (Al Baqarah, 2: 253)

The genuine Islamic creed ordains for Muslims to believe in all Prophets and Messengers. But, it ordains us in particular to believe in twenty five Messengers mentioned in the Qur'an by their names who are: Adam, Enoch (i.e., Idris), Noah, Saleh, Abraham, Lot, Ishmael, Hud, Isaac, Jacob, Joseph, Shoaib, Job (Ayoub), Dhu al-Kifl (Ezekiel), Moses, Aaron, David, Solomon, Elias, Jonah (Yunis), Zacharias, Jesus and Mohamed.

In this way, the faith involves all true Messages that humanity has so far witnessed, which prepares the Muslims to engage in a serious religious dialogue without any reservation.

1- Sahih Muslim

should endeavour to adopt. It even stated this idea in a number of contexts. The following verses are but few examples:

Each of them believeth
In Allah, His Angels
His Books, and His Messengers
We have no distinction (they say)

(Al Baqarah, 2:285)

Say ye: "We believe
In Allah, and the revelation
Given to us, and to Abraham
Isma 'il, Issac, Jacob
And the Tribes, and that given
To Moses and Jesus, and that given
To (all) Prophets from their Lord:
We make no difference
Between one and another of them:
And we bow to Allah (in Islam).

(Al Baqarah, 2:136)

The Prophet reiterated further this idea when he talked about the brotherhood of the prophets in the following Hadith (saying): **'I am the closest of all people to Jesus, son of Mary, in this world and the Hereafter; for all prophets are brothers, with**

And men who have renounced
The world, and they
Are not arrogant. (Al Ma'idah, 5:82)

And when they listen
To the revelation received
By the Messenger, thou wilt
See their eyes overflowing
With tears, for they
They recognise the truth:
They pray: "Our Lord!
We believe; write us
Down among the witnesses.
(Al Ma'idah, 5:83)

The People of the Book will surely find no where such a just discourse of the Qur'an which expresses sincere praise for those who follow the right path.

As a matter of fact, what the Qur'an says about the People of the Book applies to all mankind world-wide, because no *ummah* (nation) can pretend that its people are all perfectly virtuous.

4. When the Qur'an spoke about the previous prophecies, it clearly stated that faith is one of the fundamental exigencies of the Islamic creed (*'aqida*) which prophets

as very fair and faithful, it contrastively mentions that others are deceivers and untrustworthy, an idea which is well expressed in the following verses:

Among the People of the Book
Are some who, if entrusted
With a hoard of gold
Will (readily) pay it back;
Others, who, if entrusted
With a single silver coin,
Will not repay it unless
Thou constantly stoodest

(Ali 'Imran, 3:75)

They believe in Allah
And the Last Day;
They enjoin what is right,
And forbid what is wrong;
And they hasten (in emulation)
In (all) good works:
They are in the ranks
Of the righteous. (Ali 'Imran, 3: 114)

Additionally, Allah the Almighty speaks about some priests and monks who remained faithful to Jesus Christ:

Because among these are
Men devoted to learning

But will soon drive them
To the torment of Fire –
An evil destination (indeed)!"

(Al Baqarah, 2: 126)

The verse makes it crystal clear that non-believers do not verily lose their due right in livelihood, but that they will in parallel get their fair share of hellfire in the Hereafter.

3. The Qur'an discusses all types of wrongdoers highlighting their invalid beliefs which developed unhealthy conceptions about Allah the Almighty Who should be qualified as Perfect for He is the Know-all, the Powerful, in addition to other divine attributes proper to Him. He is the Creator and Protector of human beings. He is Aware of all their conditions and secrets. He comes to their rescue, but punishes them when they turn against Him.

The Holy Qur'an devotes the lion's share of discussion to the People of the Book as it talks about the Jews and the Christians focusing on very fundamental events in their history. It also deals with the story of evolution of these two religions along with the obstacles standing in their way.

The Holy Qur'an speaks about the People of the Book in a fair manner. While it describes some of them

He could have made mankind

One People: but they

Will not cease to dispute (Hud, 11:118)

Verses holding such a sense of tolerance abound in the Qur'an.

2. Among the Qur'anic indications which orient the thought of the Muslims towards the others is the story of Abraham (PBUH). Allah told that when Abraham completed the building of *Ka'abah*, he asked his Lord devotedly to protect the holy territory and to bless its people with prosperity for the sake of Allah's faith persistence as is shown in the following verse:

And remember Abraham said:

"My Lord, make this City

Of Peace and feed its People

With fruits – such of them

As believe in Allah and the Last Day.

(Al Baqarah, 2: 126)

Allah responded favourably to Abraham's prayer concerning the provision of peace and security for the believers, but reminded him that livelihood should be extended to everybody: believers and non-believers alike. Allah the Almighty says in this regard:

He said: "(Yea), and such as

Reject Faith – for a while

Will I grant them their pleasure,

by their Holy Books.

On the basis of this background, we can now clarify the attitude of Islam towards Non-Muslims through some facts elicited from the Qur'an:

1. The Qur'an has often emphasized a universal fact sprung from God's Will to create people with different religions, intellects, images, languages, and colours; this is the reason why the idea of getting people to hold one single view or thought runs counter with God's Will and wisdom. However, an attempt to restrict religious beliefs' divergence between nations is allowed, since this is an important strategy aimed at structuring a strong dialogue with the others and recognizing God's Will that created people purposefully different. Islam calls for diversity of thought and condemns uniformity established unjustifiably by force. In this connection, Allah the Almighty says in the Qur'an:

   "If it had been the Lord's Will,
   They would all have believed –
   All who are on earth!
   Wilt thou then compel mankind,
   Against their will, to believe

   (Yunus, 10:99)

   He also says:

   If thy Lord had so willed,

The attitude of the Holy Qur'an towards Non-Muslims

The attitude of the Holy Qur'an towards Non-Muslims is a subject which requires much space and energy. Its diversity is dependent on their various attitudes towards Islam; that is, peace-lovers and opponents, believers and disbelievers should not absolutely be treated on equal footing. In case Non-Muslims believe, after all, in the true message of Islam, the Islamic religion will distinguish between those who belong to divine religions having genuine prophethood and those who believe in a spiritual positivist doctrine that denied any relation with divine revelation.

It is then logical that these people will adopt different attitudes towards Islam. Conversely, Islam will, in its turn, have various attitudes that regulate their treatment depending on their prospective tolerance and the possibility to live with them in harmony; that is why, it is needful to talk initially about a comprehensive human attitude embodied in the Islamic attitude towards all human beings honoured by Allah the Almighty. Such honour is rightfully conferred upon them simply because they are human beings.

Islam grants the People of the Book like the Jews and the Christians a special way of treatment on the grounds that they all have common religious facts which are recognized

journals, political speeches and artistic performances. For this reason, it becomes essential to look for facts which enable us to unveil the truth by calling for rational thought to build up the conception and to take up impartial postures far away from prejudices and stereotypes.

The present contribution purports to examine the following topics:

- **The attitude of the Holy Qur'an towards Non-Muslims.**
- **The attitude of the Prophet (peace be upon him) towards Non-Muslims.**
- **The execution of the Companions (*Sahaba*) and Successors (*Tabi'i*) (may Allah be pleased with them) of the attitude towards Non-Muslims.**
- **The Jurisprudential (*fiqhi*) attitude towards Non-Muslims.**
- **The Civilizational achievements adopting the Islamic attitude towards Non-Muslims.**
- **Treating Non-Muslims at the present era**.

the tolerant and civilized people: Beware of Islam! Islam is coming.

Even if the project of *Islamophobia* took advantage of some current individual events, the latter did not happen in joint consultation with any Islamic authority that could incubate a number of highly qualified Islamic theologian-jurists (*'ulama'*) who are in the right position to issue Islamic decrees (*fatawa*) proceeding from Islamic attitudes towards general issues.

Also, the project of *Islamophobia* has called for every single moment of clash in history between the Islamic state and other nations which exercised before Islam strong hold on a large part of the world. For these nations, war was a common practice shaping their political conduct.

The emergence of Islam between territories under Persian and Roman control gave inevitably rise to serious frictions between these two empires which subjugated the world under duress.

At any rate, the early foreign intrusion in the Islamic affairs stripped the Muslims of their due right to treat Non-Muslims according to the genuine guidance of Islam. If the feeling of ill-will against Islam was prevalent in history, we hope that it would disappear in a time qualified as open and civilized. Unfortunately, the phenomenon of Islamophobia remains increasingly perpetual through books, newspapers,

secrets. They realized, therefore, that Islam was and is still deeply-rooted into the hearts of the Muslims despite the big challenges facing its thorny course.

By and large, all the above-mentioned factors and others contributed positively to paving the way for Islam to advance in all directions, especially in societies which aspire to lead a righteous life and to remain faithful to the values and principles which sound to have eroded of the modern man's own accord.

True, the prospective future is very promising thanks to people's contact with Islam. Still, such a contact has inevitably some side effects leading to the apprehension of all groups and trends which guarantee their existence by maintaining the gap so wide between Islam and people. Worse, they hold hostility to all religions regardless of whether they have religious affiliations or they are mere materialistic trends.

It was natural that all such groups would collectively join efforts to produce a distorted image in the minds of people which is characterized by feelings of disdain, superiority, hostility, and islamophobia . Such feelings are enough to build up a psychological wall between people and Islam. It seems finally that enemies of Islam have adopted the strategy of spreading fear of Islam by depicting it as a dreadful religion which encourages bloodshed. As a matter of fact, the project of *Islamophobia* came into being to tell

The Myth of Islamophobia

Adopting an attentive reading of a set of events related to the subject of religion and religiousness, we can deduce that the world tends to open itself increasingly to Islam. The emergence of such a significant interest in Islam comes as a natural product of a set of factors and influences, top most among which is the individuals’ access to free and direct contact by means of communication technology and information transfer. As a result, the authority of the oriented book is curbed intensely, the absolute dominance over thought is reduced, and easy access to different spaces of free knowledge is made possible. Moreover, man can now choose his own independent line of thought and religious convictions.

The bloody events which parts of the Islamic world witnessed gave strong impetus for people world-wide to direct their attention greatly towards Islam introducing it as substantial thought and a unique vision.

The levity of some frivolous artists who run after fame, along with the odd conducts of some politicians who lack in a clear cause, depicted their political activities as an advocating society project and a nationalistic endeavour.

The attempts of such people to damage the image of Islam was an incentive for many people to inquire about its

this way, we avoid expressing our personal attitudes that do not resort to any legal knowledge which is essential in crystallizing the real image of Islamic attitudes towards non-Muslims.

Introduction

It seems that whenever the world becomes open to Islam, the intellectual circles – which cling dearly to the culture of the past nurtured with the spirit of tension and religious enmity – imagine that the image of religious and cultural transcendence becomes vulnerable to serious erosion. This assumption leads such intellectual circles to overtly express a strong sense of islamophobia by introducing Islam as a religion which does not believe in the spirit of dialogue and co-existence. To further stir up this feeling of Islamophobia, these intellectual circles bring up all moments of historical tension subjecting them to their subjectively oriented vision which consequently depicts Islam as a religion of clash and eradication.

Islamophobia is manifest in arts, literature and other sources of knowledge, all of which aim at nurturing the feelings of hatred towards Islam and Muslims. To stand against such a discourse of hatred, we need to develop a challenging scientific approach which highlights the real attitude of Islam towards the others. The present contribution purports to achieve this pursuit by setting the religious fundamentals to treat non-Muslims according to the Holy Qur'an and the Sunna, along with the sayings of the Jurisprudents (i.e., Scholars of Islam) and the Muslim community execution (i.e., *Ummah*) of co-existence. In

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Art Direction By Mahmoud Abuelfadl

روافد

Setting the Legal Fundamentals to deal with Non-Muslims

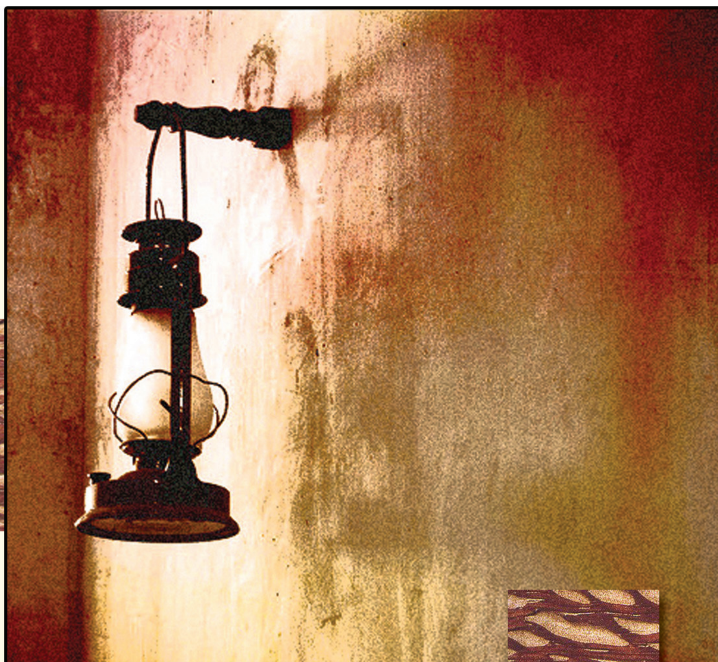
Written in Arabic
By
Dr. Mustapha Benhamza

Translated into English
By
Dr. Abdennour Kharraki

الإصدار: 43 (يوليو 2011م / شعبان 1432هـ)

Issue: 43

Setting the Legal Fundamentals to deal with Non-Muslims



Written in Arabic By
Dr. Mustapha Benhamza

Translated into English By
Dr. Abdennour Kharraki